

الشعبية الجمهورية الجزائرية الديمقراطية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE DE BLIDA 2 2 جامعة البليدة

Faculté des sciences
et des sciences
de gestion



كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

économiques, Commerciales

مطبوعة بعنوان:

محاضرات في تاريخ الوقائع الاقتصادية

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك

السنة الجامعية:

2020/2019

من إعداد الأستاذة: قاسي فاطمة الزهراء

الفهرس

الصفحة	البيان
05	المقدمة.....
06	الفصل الأول: مدخل لتاريخ الوقائع الاقتصادية
06	المبحث الأول: ماهية الوقائع الاقتصادية.....
06	المطلب الأول: مفهوم الوقائع الاقتصادية.....
08	المطلب الثاني: تطور تاريخ الوقائع الاقتصادية.....
12	المبحث الثاني: الفكر الاقتصادي وعلاقته بالوقائع الاقتصادية.....
12	المطلب الأول: مفهوم علم الاقتصاد.....
15	المطلب الثاني: المشكلة الاقتصادية.....
18	الفصل الثاني: الوقائع الاقتصادية خلال العصور القديمة
18	المبحث الأول: تطور الفكر الاقتصادي في الحضارة بلاد ما بين النهرين (السومرية والبابلية).....
18	المطلب الأول: الفكر الاقتصادي لدى الحضارة السومرية.....
22	المطلب الثاني: الفكر الاقتصادي لدى الحضارة البابلية.....
26	المبحث الثاني: تطور الفكر الاقتصادي في حضارات أخرى.....
27	المطلب الأول: الحضارة المصرية في ظل اقتصاد الحضارات القديمة.....
32	المطلب الثاني: الحضارة اليونانية والرومانية في ظل اقتصاد الحضارات القديمة.....
37	الفصل الثالث: الوقائع الاقتصادية في العصور الوسطى
37	المبحث الأول: النظام الإقطاعي.....
37	المطلب الأول: ماهية النظام الإقطاعي.....
42	المطلب الثاني: انهيار النظام الإقطاعي.....
44	المبحث الثاني: الثورة الصناعية.....
45	المطلب الأول: أهم المفاهيم المتعلقة بالثورة الصناعية.....
49	المطلب الثاني: مظاهر ونتائج الثورة الصناعية.....
55	الفصل الرابع: الأنظمة الاقتصادية المعاصرة
55	المبحث الأول: النظام الاقتصادي الرأسمالي.....

55	المطلب الأول: ماهية الرأسمالية.....
61	المطلب الثاني: إيجابيات وسلبيات النظام الرأسمالي.....
62	المبحث الثاني: النظام الاشتراكي.....
62	المطلب الأول: ماهية الاشتراكية.....
66	المطلب الثاني: إيجابيات وسلبيات النظام الاشتراكي.....
68	المبحث الثالث: النظام الإقتصادي الإسلامي.....
69	المطلب الأول: مدخل إلى الحضارة الإسلامية.....
74	المطلب الثاني: الوقائع الإقتصادية في الحضارة الإسلامية.....
83	الفصل الخامس: الأزمات الإقتصادية
83	المبحث الأول: ماهية الأزمات الإقتصادية.....
83	المطلب الأول: تعريف الأزمات الإقتصادية.....
92	المطلب الثاني: مؤشرات الأزمة الإقتصادية.....
94	المبحث الثاني: أهم الأزمات الإقتصادية.....
94	المطلب الأول: الأزمات الإقتصادية قبل الألفية الثالثة.....
96	المطلب الثاني: أزمة الرهن العقاري ل 2008 م.....
99	الفصل السادس: نماذج عن اقتصاديات بعض الدول
99	المبحث الأول: نماذج عن الإقتصاد الرأسمالي.....
99	المطلب الأول: نبذة عن الإقتصاد الأمريكي.....
103	المطلب الثاني: الإتحاد الأوروبي صورة أخرى للرأسمالية.....
107	المطلب الثالث: الإقتصاد الياباني.....
111	المبحث الثاني: نماذج عن الإقتصاد الاشتراكي.....
111	المطلب الأول: الإقتصاد الروسي.....
112	المطلب الثاني: الصين كقوة إقتصادية صاعدة.....
121	المطلب الثالث: نظرة حول الإقتصاد الجزائري.....
128	الخاتمة.....
130	قائمة المراجع.....

قائمة الأشكال

الصفحة	العنوان	رقم
107	إيرادات ميزانية الاتحاد الأوروبي 2017	01

المقدمة:

دراسة علم الاقتصاد تهدف أساسا لمسايرة وتصدى الإنسان لظروف سياسية، إجتماعية أو إقتصادية مفروضة بفعل الواقع، في إطار مواكبة العصر من جهة، ومن جهة أخرى استنباط أو وضع حلول للمشاكل الاقتصادية الماضية، الحاضرة أو المستقبلية والمتمثلة في الندرة النسبية للموارد وتزايد حاجيات المجتمع، ومنه تهتم دراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية بتسليط الضوء على مختلف الأفكار والأنظمة الاقتصادية والأزمات التي عرفت منذ العصر القديم وحتى العصر الحالي.

ونظرا لأهمية مقياس تاريخ الوقائع الاقتصادية في التكوين العلمي لطلبة العلوم الاقتصادية، نعرض في هذه المطبوعة مجموعة من المحاضرات العلمية التي نهدف من خلالها إلى مساعدة الطلبة على فهم مقياس تاريخ الوقائع الاقتصادية حسب البرنامج الجامعي المسطر، وعلية يمكن تحديد الهدف من هذه المطبوعة في نقطتين:

- تقديم محاضرات منهجية مهمشة بمراجع علمية؛
- وتنمية القدرة التحليلية للمواضيع المطروحة على شكل أسئلة لدى الطالب، من خلال طرح بعض الأسئلة في نهاية كل محور.

الفصل الأول: مدخل لتاريخ الوقائع الاقتصادية

ينتمي علم الاقتصاد إلى العلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسة وتحليل الظواهر المختلفة، ومنه علم الوقائع الاقتصادية يتتبع أهم التطورات والأحداث خلال فترات تطور المجتمعات من وجهة نظر تاريخية، وعلى هذا فكثيرا ما يطلق على علم التاريخ الاقتصادي اصطلاح **التطور الاقتصادي أو تاريخ الأحداث والوقائع الاقتصادية**.

المبحث الأول: ماهية الوقائع الاقتصادية

سنعرض في هذا المبحث تعريف وأهمية وخصائص علم الوقائع الاقتصادية قبل أن نبدأ في عرض مختلف التطورات الاقتصادية التي حدثت في المجتمعات القديمة إلى غاية عصرنا الحالي.

المطلب الأول: مفهوم الوقائع الاقتصادية

سنتكلم في هذا المبحث عن تعريف مصطلح الوقائع الاقتصادية وتقسيماته ثم نتكلم عن أهمية دراسة هذا المقياس.

الفرع الأول: تعريف الوقائع الاقتصادية

قام العديد من الكتاب الإقتصاديين بتعريف الوقائع الاقتصادية نذكر من بين هذه التعاريف ما يلي:

- هي تلك الأحداث التي عاشها الإنسان في زمان ومكان معينين، والتي شملت حيزا من التاريخ ومجالا مكانيا واضح من العالم فظهرت النظريات الاقتصادية المختلفة، وعليه فإن التاريخ الإقتصادي يتناول دراسة الوقائع الاقتصادية التي حدثت في تاريخ المجتمعات البشرية منذ نشوء الإنسان.¹
- تعبر الوقائع الاقتصادية عن الأحداث التي جرت في حيز مكاني وزماني من التاريخ فشكّلت النظريات الاقتصادية مجراها الطبيعي، حيث كان الإنسان يبحث عن إشباع حاجاته الأساسية قبل أن يفكر في تحليل الظواهر الاقتصادية والاجتماعية المحيطة به.²

¹ - خبابة عبد الله، بوقرة رابح، الوقائع الاقتصادية من التاريخ القديم إلى بداية القرن الواحد والعشرين، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009، ص

11-10

² - بن طاهر حسين، مدخل إلى الوقائع الاقتصادية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص: 07

- يمكن تعريفه أيضا بأنه علم دراسة الأفكار الاقتصادية، أي دراسة صراع، تطور وتتابع الفكر المرافق لتلك الوقائع، ذلك لأن الوقائع الاقتصادية تساهم في بروز فكر اقتصادي، لأنه ببساطة هذه الوقائع هي التي خلقت المناخ وهيأت الظروف الاقتصادية للأفكار الاقتصادية.¹

يمكن أن ندرس اتجاهات التاريخ الاقتصادي العام لتطور الواقع الاقتصادي في العامل عبر النظم الاقتصادية التي عرفها الإنسان، والتي تطورت تطورا كبيرا خلال مراحل التاريخ المختلفة للمجتمعات، وحسب تقسيم المدرسة الماركسية الذي يستند إلى حالة قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في التمييز بين خمسة أنظم اقتصادية اجتماعية متتابعة وهي: نظام الجماعة البدائية ، نظام الرق، النظام الإقطاعي، النظام الرأسمالي و النظام الاشتراكي.

وهو بذلك يرصد حركة التغيير التي تمر بها المجتمعات المختلفة من خلال مسيرتها في التقدم الاقتصادي، إذ أنه كلما ظهرت علاقات إنتاج جديدة وتم نضجها في إطار نظام قديم حيث يبلغ النمو الاقتصادي حده النهائي في ظرف زمني معين أوجب عليه مزاحمة النظام القديم ويرجع ذلك للظروف السياسية والاجتماعية القائمة، توجه الطبقة الحاكمة إضافة إلى تقسيم المدرسة الماركسية نجد تقسيمات أخرى للنظم الاقتصادية منها:

- تقسيم فرنسوا بيرو: على أساس نظام مغلق، نظام طوائف، نظام رأسمالي ونظام جماعي.
- تقسيم كولين كلارك: على أساس التطور الاقتصادي إلى عهود ثلاثة وهي: عهد الإنتاج البدائي (الصيد القنص رعي المواشي والزراعة)، عهد الإنتاج الحرفي والصناعي، عهد الخدمات (التجارة و جميع أنواع الخدمات).
- تقسيم هبلد يراند : قسم التاريخ الاقتصادي من حيث التداول إلى: عصر المقايضة، عصر التداول النقدي وعصر التداول الائتماني.
- تقسيم بوشر : قسم التاريخ الاقتصادي إلى: الإقتصاد العائلي المغلق، الإقتصاد الحرفي والمهني (على نطاق المدينة) والإقتصاد القومي.²

¹ -خالد أبو القمصان، موجز تاريخ الأفكار الاقتصادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص: 06
² -لونيسي لطيفة، مطبوعة محاضرات في تاريخ الوقائع الاقتصادية، جامعة بباجي مختار غنابة، دون سنة نشر، ص: 04

الفرع الثاني: أهمية تاريخ الوقائع الاقتصادية

تعددت أهمية وأسباب دراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية، نذكر فيما يلي بعض النقاط:

- الاستفادة من تجارب وخبرات الأجيال الماضية في تحسين أوضاع أجيال الحالية؛
- إدراك التطورات التي مر بها الفكر الاقتصادي؛
- معرفة أهم المحطات الاقتصادية؛
- ضرورة التعرف على الوقائع المتعلقة بوفرة الموارد و تحديد الحاجات و اختيار ما يمكن إنتاجه من سلع وخدمات مثل الكمية المنتجة والمكان الذي ننتج فيه؛
- وتتبع حركة المتغيرات التي تمر بها المجتمعات الإنسانية.

وعليه فإن دراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية هي عرض و تحليل الأحداث اقتصادية نتجت عن تطور المجتمعات الإنسانية عبر الأزمنة المتوالية والتي حلت مختلف المشاكل الاقتصادية.¹

المطلب الثاني: تطور تاريخ الوقائع الاقتصادية

بعد أن حددنا كل من مفهوم وأهمية دراسة الوقائع الاقتصادية، سنتطرق في هذا المطلب إلى أبعاد الوقائع الاقتصادية، وأساليب عرضها في المحاضرات أو الكتب العلمية.

الفرع الأول: أبعاد دراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية

هناك عدة أبعاد لدراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية، سنذكر فيما يلي بعض هذه الأبعاد:

- استيعاب النظريات المعاصرة: إن دراسة النظريات والأحداث الاقتصادية التي حدثت خلال فترات التاريخ الإنساني يساعدنا ولحد كبير على فهم واستيعاب النظريات الاقتصادية الحديثة، إذ لا بد قبل الإحاطة بسير الظواهر الاقتصادية المعاصرة من العودة إلى التاريخ الاقتصادي والإلمام بالتطورات الوقائع الاقتصادية الماضية. فالنظرية الاقتصادية كسائر النظريات العلمية الأخرى تساهم في تفسير حقائق معينة وتقديم الحلول للمشاكل القائمة.²

¹ - معين أمين السيد، دروس في مادتي مدخل للإقتصاد وتاريخ الوقائع الاقتصادية، دار المسيرة، الجزائر، 2008، ص: 27

² - خبابة عبد الله، بوقرة رابح، مرجع سابق، ص: 12

-استنباط العلاج للمشكلة الاقتصادية: يختلف علاج المشكلة الاقتصادية تبعاً للتطور الفني والتكنولوجي للمجتمع وحسب تنظيمه الاقتصادي. لهذا كانت دراسة التاريخ الاقتصادي عوناً للباحثين الاقتصاديين للتعرف على الأساليب المختلفة التي طبقت في علاج المشكلة خلال العصور التاريخية.

ونذكر أن المشكلة الاقتصادية تتمثل في الندرة النسبية للموارد الاقتصادية المتاحة على اختلاف أنواعها ومهما بلغت أحجامها، فهي موارد اقتصادية محدودة في كل دولة إذا ما قورنت بالحاجات الإنسانية المتعددة والمتجددة والمتباينة باستمرار. ومنه يمكن القول أن المشكلة الاقتصادية تقوم على عاملين أساسيين هما :

- حاجات إنسانية متعددة وغير محدودة؛
- وموارد وإمكانات محدودة نسبياً.

-تدبير ظروف المستقبل: تبين لنا دراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية تحديد الروابط التي نشأت بين الأحداث الاجتماعية المختلفة لنتمكن بواسطتها من الاستفادة من تجارب الإنسانية لتدبير ظروف ورسم آفاق المستقبل.

-استلهاهم السياسة الاقتصادية الناجعة: تستدعي دراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية استلهاهم أفكار جديدة لرسم السياسة الاقتصادية التي قد ينجم عنها نقل سكان مجتمع متخلف من الفقر والجمود إلى الغنى والتقدم والإزدهار.

-رصد حركة التغير التي تمر بها المجتمعات المختلفة: وذلك بالوقوف على دراسة علاقات الإنتاج التي سادت فيها على مستوى تقسيم العمل ودور المنظم في تسيير المشاريع الإنتاجية.

فحسب التاريخ الاقتصادي عرفت الأنظمة الاقتصادية عدة اختلافات نوعية فمن النظام البدائي إلى نظام الرق إلى النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي ثم ظهور النظام الاشتراكي نظام العولمة. فدراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية ليست دراسة سردية للأنظمة والأحداث الاقتصادية وإنما محاولة تحليل خصائص كل نظام في الفكرة التاريخية التي توجد ومحاولة استخراج نقاط القوة والضعف لتفاديها في الأنظمة الحالية.¹

¹ - خبابة عبد الله، بوقرة رابح، مرجع سابق، ص: 12

-دراسة الأزمات الاقتصادية التي عرفها التاريخ: وذلك من أجل التعرف على أسبابها ومظاهرها ومختلف حلولها لتفادي تكرارها في الواقع المعاش، ونذكر أهم الأزمات الاقتصادية التي عرفها التاريخ الاقتصادي على سبيل المثال :

- الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929
- أزمة وول ستريت 1997
- أزمة المكسيك 1994
- أزمة جنوب شرق آسيا 1997
- الأزمة المالية سنة 2008

-ضرورة التعرف على الوقائع المتعلقة بوفرة الموارد وتجديد الحاجات واختيار ما يمكن إنتاجه لإشباعها من سلع و خدمات متمثلة في :

- الكمية المنتجة .
- الطريقة الفنية المستعملة لإنتاجها .
- المكان الذي يتم فيه الإنتاج .
- الموارد المستخدمة في الإنتاج .
- نمط العلاقات بين القوى المنتجة .¹

فدراسة التاريخ الاقتصادي أبعاد وآفاق أكبر مما نعتقد، وهكذا أمكن لدراسة التطور الاقتصادي أو تاريخ الوقائع الاقتصادية أن ترصد حركة التغيير التي تمر بها المجتمعات المختلفة من حيث مسيرتها في سبيل التقدم الاقتصادي. إذ أنه كل ما ظهرت علاقات إنتاج جديدة وتم نضجها في إطار نظام قديم وحيث يبلغ النمو الاقتصادي حده النهائي في ظرف زمني معين أوجب عليها مزاحمة النظام القديم لأنه أصبح يعكس حالة إقتصادية ثم تخطيها وتجاوزها.

¹ - خبابة عبد الله، بوقرة رايح، مرجع سابق، ص: 12

الفرع الثاني: أساليب عرض تاريخ وقائع الاقتصادية

توجد عدة طرق وأساليب لعرض هذه المادة نذكر منها:

- التقسيم التقليدي الأكاديمي للتاريخ العام إلى عصور قديمة ووسطى وحديثة معناه تقسيم الوقائع إلى حقب زمنية محددة .
- دراسة القطاعات الاقتصادية مثل: الزراعة، الصناعة، تجاري، معلوماتي واستعراض تاريخ كل قطاع .
- الدراسة الإقليمية أي استعراض مادة الوقائع من زاوية التوزيع الجغرافي للعملية الاقتصادية أوتجزئة التاريخ الاقتصادي إلى تواريخ اقتصادية لمختلف البلدان (هي دراسة تاريخية اقتصادية متعلقة بالتوزيع الجغرافي) .
- الدراسات بالمقارنة بمعنى دراسة النظم الاقتصادية بمعنى دراسة المقارنة بين النظام الاشتراكي والرأسمالي إي نقاط التشابه و الاختلاف والتداخل .
- دراسة مؤسسة أي تركيز على التاريخ المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية .
- دراسة النماذج الاقتصادية أي دراسة الخصائص الجوهرية للنظم الاقتصادية .
- دراسة التنمية الاقتصادية أي دراسة تاريخ النمو الاقتصادي .
- أسلوب بعض أنصار المدرسة الألمانية التاريخية في تقسيم التاريخ الاقتصادي إلى مراحل تاريخية مختلفة تتميز كل منها بسيادة نظام اقتصادي معين.¹

¹ - ماجدة شلبي، تاريخ الفكر الاقتصادي من أفلاطون إلى المعاصرين، دار النهضة العربية، مصر، 2015، ص: 7-8.

المبحث الثاني: الفكر الإقتصادي وعلاقته بالوقائع الاقتصادية

إن نشأة وأصول علم الإقتصاد تعود إلى الحضارة اليونانية وإن كلمة إقتصاد اشتقت من اللغة اليونانية القديمة، وأدت التطورات الحضارية إلى إنتشار مفهوم الاقتصاد بين الناس، حتى أصبح في الوقت الحاضر من المعايير الرئيسية التي تستخدم لتحديد فشل أو نجاح المنشآت والدولة في إدارة أحوالها الاقتصادية، كما استخدمت كلمة اقتصاد الإشارة إلى طبيعة النظام الاقتصادي المطبق في مجتمع ما.

المطلب الأول: مفهوم علم الإقتصاد

هناك علاقة وثيقة بين الفكر الإقتصادي والتاريخ الإقتصادي من حيث التأثير المتبادل حيث الإعتماد الكبير على الفكر الإقتصادي في تفسير الوقائع الاقتصادية واكتشاف القوانين، يتولى الفكر الإقتصادي تفسير الوقائع و تأصيل أسبابها واستنباط الحلول الملائمة للمشكلات الاقتصادية، يساهم في استنباط النظريات واكتشاف القوانين ووضع السياسات التي تخدم المجتمع في إيجاد الحلول لمشكلاته وتحقيق الإستفادة القصوى من الموارد الاقتصادية، الطبيعية، المالية و البشرية.

لذلك فإن مظاهر الارتباط بين التاريخ الإقتصادي يحدد الإطار العام للمشكلات الاقتصادية بينما يتولى الفكر الإقتصادي إيجاد الحلول لها والسياسات الملائمة للتطبيق، لهذا فان الفكر الإقتصادي والتاريخ الإقتصادي يكمل كل منهما الآخر .

الفرع الأول: تعريف علم الإقتصاد

العلم الإجتماعي الذي يهتم بتحليل الأنشطة التجارية، وبمعرفة كيفية إنتاج السلع والخدمات، ويدرس علم الاقتصاد الطريقة التي تنتج بها الأشياء التي يرغب فيها الناس وكذلك الطريقة التي توزع بها تلك الأشياء، كما يدرس الكيفية التي يختار بها الناس والأمم الأشياء التي يشترونها من بين الحاجات المتعددة التي يرغبون فيها¹.

¹ - كساب علي، النظرية الاقتصادية، التحليل الجزئي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص: 07.

يعرفه الإقتصاديون بأنه العلم الذي يُعنى بدراسة كيفية إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها، والمقصود بالسلع والخدمات كل ما يمكن أن يباع ويشترى، أما بالإنتاج معالجة السلع والخدمات وتصنيعها، وفيما يخص مصطلح التوزيع فيعنون بها الطريقة التي يتم بها تقسيم السلع والخدمات بين الناس¹. وفي كل الأقطار، تكون الموارد المستخدمة لإنتاج السلع والخدمات قليلة، أي أنه لا يتوافر لأي أمة من الأمم ما يكفي من المزارع، المصانع أو العمال لإنتاج كل ما يحتاجه المجتمع، وتتسم الأموال بالندرة أيضاً، فالقليل من الناس لديهم الأموال الكافية لشراء كل ما يريدونه، وفي الوقت الذي يريدونه. وعليه فإنه يتعين على الناس في كل مكان أن يختاروا أفضل الطرق لاستعمال مواردهم وأموالهم.

الفرع الثاني: أهمية علم الإقتصاد

ركز علم الإقتصاد على كيفية التوزيع المناسب للموارد في المجتمع، وهو يعتمد على عدة ركائز منها فهم ما يحدث في الأسواق والاقتصاد الكلي، ودراسة الإحصائيات عن حالة الاقتصاد والشرح عن أهميتها، وفهم خيارات السياسة المختلفة وتقييم نتائجها المحتملة، ومن الأمثلة على أهمية علم الاقتصاد ما يلي:

- التعامل مع نقص المواد الخام: يزود علم الإقتصاد بآلية للنظر في التبعات المحتملة لحالة التناقص في المواد الخام مثل: الغاز والنفط.
- كيفية توزيع المصادر في المجتمع: يتم النظر إلى كيفية توزيع الدخل في المجتمع، والتساؤل عما إذا كان عدم المساواة يؤدي إلى خلق مشاكل اقتصادية أو يؤدي إلى خلق حوافز إقتصادية.
- تدخل الحكومة في الإقتصاد: مدى تدخل الحكومة في الإقتصاد يعتمد على الفجوة الحاسمة في الإقتصاد، حيث يتجادل اقتصاديو الأسواق الحرة مثل: هايك، وفريدمان حول محدودية تدخل الحكومة والأسواق الحرة، بينما يتجادل الإقتصاديون الآخرون مثل: كروغمان، وستيجليز² حول إذا كان التدخل الحكومي يتغلب على عدم المساواة، أو نقص الخدمات العامة، فعلى سبيل المثال: هل توفير الرعاية الصحية المجانية من قبل الحكومة يعتبر أكثر فعالية أم تشجيع الرعاية الصحية الخاصة.

- مبدأ تكلفة الفرصة: يمتلك كل شيء تكلفة الفرصة حسب المفهوم الاقتصادي، فعلى سبيل المثال: الإنفاق على دعم التعليم الجامعي المجاني يعني زيادة الضرائب من ناحية أخرى، لكن التساؤلات

¹ - كساب علي، مرجع سابق، ص: 07.

² - عيسى خليفي، مبادئ الاقتصاد الجزئي، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص: 12

التي قد تطرح هي هل استخدام المال العام في هذه الحالات أمر مجد، أم هل هناك استخدامات أفضل للأموال.

- الكفاءة الإجتماعية: من أفضل استخدامات الإقتصاد هو إيجاد حلول لفشل السوق، فيمكن أن تؤدي القيادة إلى وسط المدينة على سبيل المثال إلى خلق عوامل خارجية سلبية مثل: التلوث والإزدحام، وهنا يمكن أن يأتي دور الخبراء الإقتصاديين بفرض الضرائب على القيادة إلى المدن، لاستيعاب العوامل الخارجية.
- المعرفة والفهم: من أهم الوظائف الرئيسية للإقتصاديين فهم ما يحدث في الإقتصاد، والتحقيق في أسباب الفقر، والبطالة، وانخفاض النمو الإقتصادي.
- التوقعات: تعد التوقعات الاقتصادية أكثر صعوبة من فهم الوضع الحالي، وعلى الرغم من أن التوقعات ليست موثوقة دائماً، إلا أنها يمكن أن تساعد في منح صناع القرار فكرة عن النتائج المحتملة.
- التقييم: بسبب العديد من المتغيرات الغير معروفة يعتبر الإقتصاد علماً يختلف كلياً عن الرياضيات، ومن المستحيل أن تكون النتائج فيه نهائية، لكن الإقتصادي الجيد يكون على دراية بأن النتائج المحتملة تعتمد على متغيرات مختلفة، لذا يعد من الأفضل تجنب إتباع منهج أيديولوجي مفرط، وعلى سبيل المثال: قد تمتلك الحكومة فلسفة "الأسواق الحرة هي الأفضل دائماً"، لكن الإقتصادي سيكون مدركاً بنظرة أكثر وضوحاً في بعض الأسواق، مثل: الرعاية الصحية، والنقل، ويمكن أن يتغلب التدخل الحكومي على فشل السوق ويحسن الرفاهية، وفي نفس الوقت لا يعني ذلك أن تدخل الدولة هو الأفضل دائماً.
- الإقتصاد السلوكي: وهو الذي ينظر إلى أسباب أفعال الناس، وإمكانية الحكومة على تعديل سلوكيات الناس إلى نحو أفضل.¹
- تطبيق الإقتصاد في الحياة اليومية: لقد درس الإقتصاديون الحديثون القوى الاقتصادية الكامنة وراء القضايا الاجتماعية اليومية.

¹ - عيسى خليف، مرجع سابق، ص: 13

المطلب الثاني: المشكلة الإقتصادية

أحد أسباب تطور الفكر الإقتصادي والوقائع الإقتصادية هو البحث عن جواب للمشكلة الإقتصادية التي تواجه المجتمعات في كل الأوقات، لذا ارتأينا التطرق لهذا الموضوع في هذا المطلب من خلال تعريف المشكلة الإقتصادية وخصائصها.

الفرع الأول: تعريف المشكلة الإقتصادية

ينبغي على كل أمة أن تنظم عملية إنتاج السلع وتوزيعها والخدمات التي يطلبها مواطنوها، ولتحقيق ذلك فإن النظام الإقتصادي للأمة لابد له من طرح الحلول المناسبة للأسئلة الأساسية التالية :

- ما الذي ينبغي إنتاجه من السلع والخدمات؟
- كيف سيجري إنتاج تلك السلع والخدمات؟
- من الذي سيتلقى السلع والخدمات المنتجة؟
- بأي سرعة سينمو الاقتصاد؟
- ما الذي ينبغي إنتاجه؟.

ليس بإمكان أي أمة أن تنتج كل ما يكفيها من السلع والخدمات اللازمة للوفاء بكامل احتياجات مواطنيها. ولكن أي السلع والخدمات التي يمكن اعتبارها أكثر أهمية من بين مجموعات السلع والخدمات المختلفة؟ حينما ينتج المزيد من السلع والخدمات. وعلى الأمة أن تحدد النسبة من مواردها النادرة التي ينبغي أن تستعمل لبناء المصانع والآلات، ولتقديم المزيد من التعليم لأبنائها بما يكفل زيادة الإنتاج في المستقبل. كذلك يجب معرفة كم من موارد البلاد، يلزم تخصيصه لإنتاج السلع والخدمات، مثل الغذاء والكساء للاستهلاك المباشر، إضافة إلى ذلك ينبغي على الأمة أن تقرر الكيفية التي تتقادى بها البطالة والنكسات الإقتصادية الأخرى التي تبدد موارد البلاد¹.

¹ - أحمد محمد مندور، مقدمة في الاقتصاد الجزئي، الدار الجامعية الإسكندرية، مصر، 2002، ص: 263

الفرع الثاني: خصائص المشكلة الاقتصادية

- الندرة: ويقصد بها الندرة النسبية وليست المطلقة فالموارد متوفرة (وسائل الإشباع) إلا أنه بالنظر إلى زيادة الرغبات فإن هذه الموارد تصبح نادرة بالنسبة للرغبة فيها وهذا جوهر المشكلة الاقتصادية، وتنقسم الموارد إلى

- الموارد الحرة: وهي متوفرة في الطبيعة بكثرة وتكفي لإشباع جميع الحاجات الإنسانية ولا ندفع ثمنها مقابل الحصول عليها، مثل الشمس والهواء .

-الموارد الاقتصادية: وهي محدودة وغير كافية لإشباع كل الحاجات الأساسية، أي أنها تتميز بالمحدودية والندرة النسبية ومعيار الندرة هو وجود ثمن مقابل الحصول عليها، وهي عبارة عن :
*موارد طبيعية مثل: الأراضي ما فوقها وما تحته.

*موارد بشرية مثل: العمال وأصحاب المشروعات.

*موارد رأسمالية: وهي الآلات والمعدات اللازمة لإنتاج السلع والخدمات اللازمة لإشباع الحاجات.

- الاختيار: إن تزايد الحاجات وتعددتها مع محدودية الموارد يضع حدودا أمام ما يمكن للفرد الحصول عليه من سلع وخدمات، مما يجعل عملية الاختيار أمرا لا مفر منه، وربما يلاحظ الفرد أنه يتعرض لمشكلة الاختيار أكثر من مرة، بل وباستمرار وفي مختلف نواحي حياته اليومية. فإذا واجهت الفرد مشكلة الاختيار، وتمكن من اختيار أحد البدائل المتاحة، فقد اتخذ قرارا اقتصاديا . وعلى ذلك نقول بأن حل المشكلة الاقتصادية سيوجب على الجميع أن يقوموا بعملية اختيار، ويقرر أمرين :الأمر الأول: اختيار الحاجات التي سيتم إشباعها باستخدام الموارد المتاحة .الأمر الثاني: الاختيار بين الاستخدامات العديدة للموارد والاستغلال الأمثل لها وتحقيق الكفاءة من استخدامها بحيث تستخدم في إنتاج أكبر قدر ممكن من السلع والخدمات وبأقل تكلفة ممكنة لإشباع أكبر قدر ممكن من الحاجات.¹

¹ - أحمد محمد مندور، مرجع سابق، ص 263.

وفي الأخير نستنتج أن تاريخ الوقائع الاقتصادية يهدف إلى دراسة الظواهر الاقتصادية لتحسين الأوضاع المستقبلية من خلال التجارب التي مرت بها المجتمعات، فتعتبر دراسة الوقائع الاقتصادية دراسة لأهم الأحداث التي جرت في تاريخ البشرية، وذلك لأن الإنسان كان دائم البحث عن أفضل الطرق لإشباع حاجاته الأساسية قبل أن يفكر في تحليل الظواهر الاقتصادية والاجتماعية المحيطة به، وتظهر أهمية دراسة تاريخ الوقائع الاقتصادية من خلال ضرورة التعرف على الوقائع الاقتصادية المختلفة عبر العصور وبالتالي معرفة أهم الأفكار والأساليب لمعالجة شتى أنواع الأزمات التي حصلت في الماضي وهذا طبعا للاستفادة من أخطاء ومشاكل الماضي وتجنبها.

أسئلة الفصل الأول:

- يتم إدراج تاريخ الوقائع الاقتصادية كمقياس مهم للدراسة بصفة خاصة في العلوم الاقتصادية، لماذا؟

- تطور الفكر الاقتصادي مع تطور المشكلة الاقتصادية، حل وناقش؟

الفصل الثاني: الوقائع الإقتصادية خلال العصور القديمة

الحضارة هي مجموعة الفنون والعادات والتقاليد والقوانين والأخلاق، وهي مجموعة النظم التي تميز مجتمعا عن غيره من المجتمعات الأخرى، كما هي حصيلة ما يكتسبه الفرد من مجتمعه وقد تعددت الحضارات القديمة وتتنوعت، لكن سبقت الحضارات مجتمعات بدائية اعتمدت على نمط إنتاجي بدائي ظهر مع ظهور الإنسان منذ حوالي مليون سنة، واستمر حتى ما قبل الميلاد بقرون حيث تميزت هذه الفترة بانخفاض مستوى قوى الإنتاج وأدوات العمل حيث سعى الإنسان إلى تطوير هذه الأخيرة مع صراعه المستمر مع الطبيعة وفي مرحلة من هذه الفترة اكتشفت النار التي كانت بمثابة انعطاف حاسم في حياة الإنسان البدائي حيث بدأت أساليب عيشه تتطور وبدأ بإنشاء حضارات على مقربة من الموارد التي تسمح له بالتطور وتميزت كل حضارة بأساس اقتصادي مميز لها.

المبحث الأول: تطور الفكر الإقتصادي في الحضارة بلاد ما بين النهرين (السومرية والبابلية)

الحضارة لغة هي مصدر الفعل حضر، وجمعها حضارات، وهي التمدن والتحضر خلاف البداوة كما أنها مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني، ويعرف تايلور عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي الحضارة على أنها كيان معقد يشتمل على العديد من الآداب والفنون، والعادات والتقاليد، ومختلف القوانين التي يكسبها الفرد لكونه فردا في المجتمع.¹

المطلب الأول: الفكر الإقتصادي لدى الحضارة السومرية

سنتطرق في هذا المطلب إلى أهم الوقائع الإقتصادية في الحضارات التي كانت متواجدة على ضفاف نهري الدجلة والفرات (العراق)، وسنبداً بالحضارة السومرية.

¹- تعريف ومعنى الحضارة في معجم المعاني الجامع، معجم عربي www.olmoony.com اطلع عليه بتاريخ 29-11-2017 بتصرف

الفرع الأول: منشأ الحضارة السومرية

قبل عدة سنوات تمكن باحث عراقي أن يعيد جميع جذور اللغة السومرية* إلى لغة بلاد الرافدين الأم، من خلال نظرية في السيمانتك، وأثبت أن جذرها اللغوي هو من ذات جذور اللغات الرافدينية الأخرى المسماة بالعائلة السامية، وأبعد من ذلك تمكن من أن يثبت أن لغة بلاد الرافدين هاجرت إلى أوروبا ومناطق أخرى من العالم، وعدد كبير من اللغات الأوروبية الحالية تعود إلى لغة بلاد الرافدين القديمة، بعد أن اختلفت صوتياً عن لغة المنشأ.

تعود بداية الحضارة السومرية لما يعرف بعصر أورك إلى بداية الألف الرابع ق.م، وهي مميزة ببدايات إنشاء المدن الأولى كما أنها ذات طراز فخاري محدد، وقد شكلت امتداداً لثقافة العبيد، أولى المستوطنات الزراعية على امتداد الفترات منذ الألف السادس ق.م المميزة بطرزها الفخارية ذات الألوان والطابع المحدد، ومنه يمكن تحديد العصور التالية في الحضارة السومرية:

- عصر أوروك: بدأ التاريخ السومري بما يعرف بعصر أوروك من حوالي 4000 ق.م إلى 3000 ق.م، فقد نشأت العديد من المستوطنات والقرى الزراعية على الفترات والتي تطور منها لاحقاً بعض المدن، والتي شكلت أوروك المدينة الأهم بينهم، والتي اشتهرت بمعبد إنانا فيها.
- عصر جمدة نصر: في حوالي 3100 ق.م زاد عدد المزارعين المشتغلين بالزراعة المروية بشكل كبير، وأصبحت مراكز المدن أماكن مقدسة، وانتهت هذه الفترة حوالي 2900 ق.م .
- الدولة السومرية القديمة: في بداية عصر السلالات المبكرة نشأت مجموعة من المدن الدول (آداب-إريدو-أيسن-كيش-لاكاش-لارسا-نبيور-أور-أوروك) والتي شكل خضوعها لحكم واحد منذ 2800 ق.م الدولة السومرية القديمة، وذلك عبر سلسلة من القادة الحكام من مدن وعائلات حاكمة مختلفة.¹

¹ - عطية محمد عطية، مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية ونظمها، يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ص13-15.

* ابتكروا الكتابة على الرقم الطينية وهي مخطوطات وألواح الطين "مسمارية" وظلت الكتابة السومرية 2000 عام لغة الإتصال بين دول الشرق الأوسط في وقتها.

- الدولة السومرية الحديثة: دامت الدولة السومرية الحديثة من عام 2112 ق.م وحتى العام 2004 ق.م، وذلك تحت حكم أسرة أور الثالثة، الذين أعادوا الكتابة باللغة السومرية كلغة رسمية للدولة، ومن أعمالهم بناء العديد من الزاقيات، إلا أن نهاية هذه الفترة كانت قريبة على يد العيلاميين، خضعت سومر بعد ذلك للدولة البابلية القديمة ق.م وآشور والدولة البابلية الحديثة (الكلدانية).¹

الفرع الثاني: مميزات اقتصاد الحضارة السومرية

إن التوازن الحضاري من السومر أنتج صناعات وشعراء، ورجال دين، مما ساعد على ابتكار العديد من الأشياء التي سهلت حياتهم اليومية ونشاطهم الإقتصادي.

- نظام الري والزراعة السومري: وكان أساس هذه الثقافة التربة الخصبة بفضل فيضانات النهرين السنوي، فقد انتهى بالسومريين إلى أن يجرو معه جريانا آمينا في قنوات الري التي تخترق البلاد طولاً وعرضاً وقد خلفوا أخطاره الأولى بالقصص "الطوفان"، كان نظام الري يرجع إلى 4 آلاف سنة ق.م من أعظم الأعمال الإنشائية في الحضارة السومرية، وما من شك أنه كان أيضاً الأساس الذي قامت عليه. وعن الزراعة فكانت إحدى المقومات الرئيسية لهذه الحضارة، فقد أخرجت حقولهم محاصيل عدة من الذرة، والشعير والقمح، والنخيل حيث كان هدفهم تثبيت أقدامهم في المدن وتحقيق استغلاليتهم وقوتهم. كما ظهر عندهم المحراث الذي تجره الثيران حيث كان يتصل بأنبوب مثقوب بالبذور، وكانوا يدرسون المحاصيل بعربات كبيرة ركبت فيها أسنان من الظربان تفتت القش ليكون أكل للماشية كما كانوا يعتنون بتربية الأبقار، الماعز والخنازير والغنم. ولقد شجع التقدم الزراعي على تشييد مخازن لحفظ الغذاء تماشياً مع تزايد عدد السكان وتأسيس المدن، وكان هدفهم الأكبر لاهتمامهم بالزراعة بحد كبير وهو أن تكون مدخلا لهم لمجال التجارة. وكذلك استخدم السومريون أساليب مختلفة وذلك في تجديد التربة وجعلها ملائمة لتقبل التغيرات المناخية والسلاسل الزراعية مما جعلها حضارة مميزة.²

- الصناعة والتجارة: لقد كانت هذه الثقافة بدائية من نواح كثيرة فقد كان سومر يخلطون النحاس والقصدير ليصنعوا منها البرونز، كما كانوا يصنعون من الحديد آلات كبيرة رغم أنه كان صعب

¹ - عطية محمد عطية، مرجع سابق، ص 15.

² - عبد اللطيف بن محمد بن عبد العزيز الحميدان، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديماً وحديثاً مقارنة بآراء ابن خلدون، العبيكان للنشر، السعودية، 2017، ص: 15-16.

الوجود وقليل الاستعمال وكانت المناجل تصنع من الطين أما الأشياء الدقيقة مثل الإبر والمثقاب فكانت تصنع من العاج والعظام، وكانت صناعة النسيج واسعة الانتشار يشرف عليها أفراد الطبقة الراقية. وزد على ذلك استيراد الأحجار اللازورد والعقيق واللؤلؤ لتستخدم في مختلف الفنون وهذه الصور تعبر عن أهم منجزاتهم الرائعة في المجوهرات، واختراعهم للعجلة الذي كان ذات الأهمية البالغة وصناعتهم للعربات أيضاً، وقد دجنو الحيوانات واستخدموها كموايد للتغذية واستفادوا من جلوده وعظامها كموايد ذات فعالية إنتاجية. وأما صناعة الذهب فقد بلغت مستوى رفيعاً ويظهر ذلك في ما وجد في أقدم مقابرهم التي يرجع تاريخ معظمها إلى عام 4000 ق.م من أوان من الذهب تدل عن ذوق راقٍ ومصقولة أجمل صقل، كما عثر في خرائبهم عن عدد كبير من الأختام الأسطوانية معظمها مصنوع من المعادن الثمينة أو الأحجار الكريمة، وعليها نقوش منحوتة فيما لا يزيد على بوصة مربعة أو بوصتين، ويعتقد أن السومريين كانوا يستخدمون هذه الأختام فيما نستخدم فيه نحن الإمضاءات.¹

مما سبق يمكن أن نستنتج عدة عوامل ساعدت على نجاح الحضارة السومرية وهي:

- ارتفاع إنتاجية الأراضي الواقعة بين نهري الدجلة والفرات بسبب الإستغلال الكبير لشبكة الري لتوفير مصدر دائم لري الحقول الزراعية؛
- اختراع العجلة التي ساعدت بشكل كبير على تدجين الحيوانات وحرث الأرض والنقل بين المدن المجاورة مما ساعد على اتساع التجارة على الصعيدين البري والبحري؛
- اهتمام السومريين الكبير بالصناعة وتطور مهاراتهم، وحرفيتهم وبراعتهم في التحجير وسبك المعادن؛
- وإستغلال العبيد كقوى عاملة مجانية في بناء الحضارة السومرية.²

¹ - عبد اللطيف بن محمد بن عبد العزيز الحميدان، مرجع سابق، ص: 17.

² - حروش رفيقة، الإقتصاد السياسي، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص: 56.

المطلب الثاني: الفكر الإقتصادي لدى الحضارة البابلية

تقع مدينة بابل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) على بعد 90 كيلو مترا جنوب بغداد، برزت مدينة بابل لأول مرة في عهد الملك حمورابي ووصلت إلى ذروة تألقها في ظل حكم الملك نبوخذ نصر الثاني (650 ق.م)، وتشتهر مدينة بابل بجدرانها العالية الحصينة وفخامة معابدها وقصورها، كما تشتهر بابل بحدائقها المعلقة التي تعد إحدى عجائب الدنيا السبع التي بناها الملك نبوخذ نصر لزوجته أميتاس. مما يدل على أنها حضارة عظيمة وجب دراستها من كل النواحي بما فيها الاقتصادية.

الفرع الأول: تطور الحضارة البابلية

سننتظر في هذا الفرع إلى نشأة الحضارة البابلية وعوامل نجاح هذه الحضارة وقدرتها على تحقيق ما حققته.

أولاً: نشأة الحضارة البابلية

بلاد بابل أو البابلية تعني بالأكدية "بوابة الإله" أطلق عليها الفرس "بابروش" دولة ما بين القديمين، عرفت قديماً ببلاد سومر وكانت تقع بين نهري دجلة والفرات بالعراق، هي دولة أسسها حمورابي سنة 1763 ق.م وهزم حمورابي آشور في عام 1760 ق.م، وأصدر قانونه (شريعة حمورابي)، تكون المجتمع البابلي في عهد حمورابي من ثلاث طبقات هي:

-الطبقة الأرستقراطية: وعرفت باسم "لاميلو" الذين لهم سيادة المجتمع وهي الطبقة الراقية.

-طبقة الموشكينو: هم الأفراد الفقراء والمساكين من الأحرار الذين بجميع المهن فقدوا الحقوق التي تتمتع بها الطبقة الأرستقراطية.

-طبقة وارديم: وهم من ولدوا بالرق وأسرى الحرب، كان لهم حق التملك وإدارة بعض الأعمال واقتراض المال، وكان لنساء الحرائر التملك و كان الآباء هم من يختاروا الأزواج لبناتهم وهي طبقة الرقيق.¹

ويمكن تقسيم الحضارة البابلية إلى الفترات التالية:

¹ -هاشم عيود الموسوي، موسوعة الحضارات القديمة، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص: 179-180
* الكلدانيون هم إحدى القبائل الآرامية.

- **الدولة البابلية القديمة (حكم العموريين):** تعود أقدم آثار الاستيطان البشري في بابل إلى الألف الثالث قبل الميلاد، حيث عاش السومريون هناك في قرية صغيرة تحولت مع الزمن إلى مدينة، وقد بنى فيها الملك الأكدي شركالي شري (2223-2198 ق.م) معبداً لآلهة عشتار، وبقيت مدينة مغمورة في عصر سلالة أور الثالثة، غير أنها أخذت بالتحول إلى مدينة مهمة مع وصول القبائل البدوية الأمورية إلى بلاد الرافدين في موجات قادمة من جهة الغرب (بادية الشام) في بدايات الألف الثاني قبل الميلاد وتأسيسها سلالات حاكمة في كثير من المدن مثل «لارسا» و«أشنونة» و«إيسن» و«بابل» التي أسس فيها الأمير الأموري سَمَوَابو (1894-1881 ق.م) مملكة قوية توالى على حكمها أولاده وأحفاده من بعده هي "المملكة البابلية القديمة".
- **الدولة البابلية الحديثة (الفترة الكلدانية):** أقام الكلدانيون* في جنوبي العراق منذ أواخر العصر الكاشي، وكونوا إمارات عدة، كانت أكبرها إمارة بيت داكورين وبيت ياقين، وبيت نافو، في المنطقة الواقعة إلى الشمال من الخليج العربي. وسيطرت قبائل آرامية أخرى على المنطقة الممتدة بين مدينة بابل وبورسيبا.
- **الحضارة الكلدانية:** الحضارة الكلدانية هي حضارة قديمة قامت في بلاد ما بين النهرين بين 626-539 ق.م. في عام 612 ق.م. سقطت مدينة نينوى بيد الأمير الكلداني نبو بلاصر، بعد أن حاصرها ودمر حصونها، فأحرق آخر ملوكها سن شر أشكن نفسه في قصره، وهكذا انتهى النفوذ السياسي والعسكري للآشوريين، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ العراق القديم حمل فيها الكلدانيون مشعل الحضارة في وادي الرافدين. أشهر ملوك الكلدانيين نبوخذ نصر حكم 43 سنة، قضاها في تعمير مدينة بابل. وأعظم أعماله حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع. وشيد في مدينة بابل باب عشتار، ولقد شملت أعماله جميع بلاد بابل مثل فتح الترع وبناء السدود ونشر الثقافة البابلية في جميع أرجاء المنطقة.¹

¹ -هاشم عيود الموسوي، مرجع سابق، ص: 181

ثانياً: العوامل الأساسية لتطورها:

-العوامل السياسية:

- قدرتها على المزج بين حضارة السومريين وحضارة الأكاديين وإضافتها لمستها الخاصة عليهما؛
- إخضاع حمورابي لمعظم البلدان المجاورة وتوحيدها تحت لواء مدينة بابل؛
- واستفادة ملوك بابل من الخبرة التي خلفها الملوك الآخريين مثل ملوك إيزنولارس.

-العوامل الاقتصادية:

- ارتفاع إنتاجية الأراضي الواقعة بين النهرين؛
- تطور التجارة بشكل كبير بسبب تعبيد طرق التجارة البرية؛
- العناية بطرق التجارة البحرية والنهرية؛
- إنشاء قنوات الري، وهو الأمر الذي أدى إلى تنظيم عمليات الري وإرتفاع الإنتاجية الزراعية ووفرة الإنتاج الزراعي؛
- وزيادة استغلال العبيد كقوى عاملة مجانية والتي شاركت في تطوير الحضارة البابلية.

الفرع الثاني: الأحداث الاقتصادية في الحضارة البابلية

كما أشرنا سابقاً، تعد الحضارة البابلية من أهم الحضارات البشرية لذا هي تزخر بأحداث إقتصادية هامة سنعرضها في النقاط التالية:

- الزراعة: تطلبت الزراعة البابلية عملاً مضنياً وتنظيماً دقيقاً، ولكنها كانت تنتج غلالاً وافرة، فتم شق القنوات لإيصال المياه إلى الحقول، وكانت أعمال القنوات الرئيسية مسؤولية الدولة، أما المزارعون فتولوا القنوات الصغيرة الثانوية والعناية بها. المألوف أن تبذر المحاصيل في أواخر الخريف وتحصد في نهاية الربيع وكانت الغلال تحصد بالمنجل، ويبدو أن البابليين كانوا يستخدمون النورج للدراس، ثم يقومون بعملية التذرية، وبعدها بتخزين المحصول في أهراء قريبة من الحقول. أما المحاصيل فكانت من القمح والشعير، والعدس، والحمص،¹

¹ صونيا عابد، تعريف الإقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2010، ص: 05-06.

والكتان، والسمسم، والبازلياء والشوفان والدخن، واحتل الشعير المقام الأول من حيث الاستخدام البشري، فصنعوا منه الخبز والطحين والجة. واستخرج البابليون الزيت من السمسم لفقر المنطقة بأشجار الزيتون، وصنعوا الأنسجة من الكتان، وكان تمر النخيل من أكثر المواد الغذائية أهمية، واستخدم خشب النخيل استخدامات مختلفة في مجال البناء، ومن أشجار الفاكهة المعروفة التين والرمان والتفاح، وكثيرا ما استخدمت النباتات والأعشاب للتداوي. وعن تربية الحيوان، عُرف الكلب وهو من أقدم الحيوانات المنزلية لكثرة فوائده في الحماية والصيد، وربي البقر والغنم والماعز والخنزير. ففي المشاهد التصويرية رسوماً كثيرة للثيران، حيث الثور رمزاً لإله القمر، وإلى جانب الدواب ربيت الطيور مثل الإوز والبط، وكذلك الدجاج والنعام والحمامة.

- التجارة: تم العثور على العديد من الإتفاقيات التجارية، وقوائم جرد للبضائع، ومراسلات تجارية من بلاد بابل، وكانت معظم النصوص التجارية توثق. وقد شاع اعتماد الحبوب خاصة كمادة للمقايضة، كما شاع استخدام الأغنام وسيلة لتقدير ثمن البضائع أيضاً. ثم حلت المعادن، ولاسيما النحاس والفضة محل المقايضة. وكانت الدولة تعقد الإتفاقيات التجارية مع جيرانها، وتحرص على فتح الطرق وحمايتها والسيطرة عليها، وتسيير القوافل التجارية التي تعتمد على الحمير وسيلة للانتقال، أما البضائع التي كانت تصدر من بابل فهي الحبوب بأنواعها، والتمور والأدوات المصنعة والمنسوجات. وكانت تستورد المواد المعدنية الخام من إيران، والأناضول وبلاد الشام، وزيت الزيتون والنبذ والأخشاب من بلاد الشام.

- المهن والحرف: كان الغزل والنسيج، والخياطة والتطريز من أهم الحرف التي اختصت بها النساء، وثمة شواهد تشير إلى تمت صناعة أثواب ثمينة للملوك وكبار الكهنة وغيرهم، وكانت مادة الخياطة والنسيج هي الصوف والكتان، وعرفت الأقمشة الملونة وصباغتها بوساطة الشب والقرمز، وكان ثمة حِرَف أخرى متميزة كحرفة صانعي الأكياس والسجاد، وتعد نصوص ماري البابلية القديمة ونصوص نوزي أغنى النصوص من حيث المعلومات المتصلة بصناعة السجاد ودبغت الجلود وصنع منها الألبسة والأحذية، ومن أكثر الحيوانات التي استفاد الناس¹

¹ - صونيا عابد، مرجع سابق، ص: 07-08

من جلودها البقر، والماعز. واستخدام الجلد قليلاً للكتابة عليه. وكان القصب يستخدم في صناعة السلال وأعواد السهام والرماح، وفي بناء القوارب والمراكب النهرية، وصناعة الأبواب البسيطة والأثاث المنزلي، وفي بناء الأكواخ وتغطية أراضي المنازل والحظائر في الريف، وكانت طبقات من الحصر القصبية تستخدم في بناء الأبنية الضخمة كالمعابد البرجية (الزقورة). لقلة الأخشاب في بلاد بابل، فقد جلبت من الجبال الشمالية والغربية على الساحل الشامي، ويرد في المعاجم البابلية عددا كبيرا من الأدوات الخشبية استخدمت في الأعمال المختلفة، وفي صنع الأثاث المنزلي، وكان للنجار دورا كبيرا في بناء البيوت والمعابد والقصور، والمراكب النهرية والعربات ذات العجلات الخشبية، كما كانت حرفة الفخار شائعة في البابلية، لأهمية صناعة الآجر في البناء، وفي عمل الألواح الطينية (الرقم) للكتابة عليها، وفي صناعة الأواني والدمى والأعمال الفنية الأخرى، وكذلك الحجار، حيث جلبت الأحجار والصخور من المناطق الجبلية الآسيوية من زاغروس وإيران، والأناضول وبلاد الشام، للبناء وصنع الأدوات الحجرية، وفي النحت الفني. واستخدم النحاس والبرونز في صناعة الأسلحة والأدوات، كما وجد صائغ الذهب والأدوات الثمينة من الفضة والمعادن الأخرى.¹

وفي الأخير نستخلص بأن كل من الحضارتين طورت اقتصادها حسب إمكانياتها وحاجاتها فقد قام السومريون بتطوير وسائل وأدوات العمل من أجل إنتاج وفير كما أنشئوا نظام تجارة عن طريق نقل البضائع ومبادلتها إما بما يقابلها من ذهب أو فضة أو مقايضتها بسلعة أخرى، إما بنسبة للحضارة البابلية فقد اعتمد اقتصادها على الزراعة كنظيرتها السابقة لكن مع إنتاج أنواع مختلفة وإتقانهم حرفا متعددة مع استعمالهم للحبوب كوسيلة للمقايضة وبذلك نرى التطور الملحوظ الذي وصل إليه الإنسان فقد تولى عن نمط عيشه البدائي وأنشأ أسس اقتصادية منحتة حياة أكثر استقرارا.

المبحث الثاني: تطور الفكر الاقتصادي في حضارات أخرى

لقد كان للحضارات القديمة أثر كبير على الحضارات الأخرى حيث كانت بمثابة الحضارة الأم، وذلك لما كانت تشهده من تطورات ونجاحات في مختلف المجالات الزراعية والتجارية والإقتصادية، ومن العوامل التي اعتمدت عليها هاتين الحضارتين القديمتين نجد نظام الري الذي جعلها رائدة في مجال الزراعة واستفادت منه حضارات وأجيال أخرى، وذلك بسبب موقعها الإستراتيجي الذي ساعد على تطور

¹ - صونيا عابد، مرجع سابق، ص: 07-08

التجارة على الصعيدين البري والبحري وتعبيد الطرق التجارية وذلك من أجل تسهيل العمليات التجارية، بالإضافة إلى سبك المعادن وذلك من خلال تحويل النحاس والقصدير إلى البرونز وكانت الكتابة المسمارية على الألواح الطينية هي لغة إتصال بين الحضارات كل هذا ساعد على قيام حضارات أخرى سنذكر بعضها في هذا المبحث.

المطلب الأول: الحضارة المصرية في ظل اقتصاد الحضارات القديمة

الحضارة المصرية من أهم الحضارات في العالم القديم التي دونت تاريخها، ويقسم تاريخ الحضارة المصرية إلى قسمين رئيسيين، أما القسم الأول فهو عصر ما قبل التاريخ الذي كان بداية استقرار الإنسان المصري في منطقة وادي النيل في عام 6000 قبل الميلاد تقريبا، وفي تلك الفترة عرف المصريون الزراعة واستأنسوا الحيوانات، كما تقدمت الحضارة المصرية في هذا العصر، وأسست دولتين فيها هما الدلتا والصعيد، وفي عام 3100 قبل الميلاد وحدت هاتين الدولتين في دولة واحدة، وكان ذلك في عهد مينا موحد القطرين. أما القسم الثاني فهو العصر التاريخي لمصر وفي هذا العصر عرف المصريون الكتابة، وظهرت فيه ثلاث دول وثلاثون أسرة ملكية.

الفرع الأول: التطور التاريخي للحضارة المصرية

يتضمن العصر التاريخي للحضارة المصرية أربعة عهود رئيسية، وهي:

● **العهد العتيق:** يضم هذا العهد الأسرتين الأولى والثانية، وفيه تم إقرار الوحدة السياسية وأسست الحضارة المصرية على أسس متينة وصلبة، ومن أهم الملوك الفرعنة في هذا العهد نينا (نمر) وديمون (دن-سمتي) من الأسرة الأولى، وحتوب سخموى، وبرايب سن (نفر كا رع) من الأسرة الثانية.

● **الدولة القديمة:** يضم هذا العهد الأسر الملكية الثالثة، وحتى السادسة في الفترة من 2960 وحتى 2180 قبل الميلاد تقريبا، ويتميز هذا العصر بأمنه الداخلي، كما أن مصر قد وصلت في هذا العهد إلى مجدها في العلوم المختلفة من فلك، وطب، وهندسة، ويعتبر هذا العصر عصر إنشاء الأهرامات، وهذا ميزه عن غيره من العصور، كما أن العمارة في هذا العصر قد تطورت وازدهرت بشكل ملحوظ، ومن أهم ملوك الدولة القديمة: زوسر الذي بنى الهرم الأكبر (الأسرة الثالثة)، وخفرع ومنكاورع (من الأسرة الرابعة)، وكذلك أوناس من الأسرة الخامسة.¹

¹ - أحمد صادق سعد، تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي، دار ابن خلدون، لبنان، 1979، ص: 41.

● **الدولة الوسطى:** يضم هذا العهد الأسرة الحادية عشر، وحتى الأسرة الرابعة عشر، في الفترة الواقعة ما بين 1710 - 2060 قبل الميلاد تقريباً، في هذا العهد كان الاهتمام بالسياسة الخارجية واضحاً، حيث سيطرت مصر على النوبة السفلى، وتعتبر فترة حكم الأسرة الثانية عشر فترة ذهبية للدولة، ويضم عهد الدولة الوسطى أيضاً عصر ضعف وضمحلل شمل الأسر من الخامسة عشرة، وحتى الأسرة السابعة عشرة، إذ احتل الهكسوس مصر في هذه الفترة، وعلى الرغم من ضعف الدولة في نهاية هذا العصر إلا أننا نرى تطوراً في أساليب الحرب كاستخدام العجلات الحربية.

● **الدولة الحديثة:** تضم الدولة الحديثة الأسرات من 18-20، وفي هذه الفترة استطاعت مصر أن تفرض سيطرتها على المناطق الممتدة من شمال سوريا وبلاد الرافدين، وحتى الشلال الرابع في السودان، وكانت عاصمة مصر في ذلك الوقت هي طيبة، وفي هذا العهد بنيت المعابد، كمعبد الكرنك، والأقصر، كما حدث فيه انقلاب ديني عندما قام أخناتون بعبادة قرص الشمس أي توحيد الآلهة إله واحد، وقام أخناتون أيضاً بجعل تل العمارنة عاصمة مصر بدلاً من طيبة. وفي عهد الدولة الحديثة كان هنالك فترة ضعف وضمحلل شملت الأسر 21-25 حيث غزا الآشوريون مصر، إلا أنهم استطاعوا التخلص من هذا الغزو بقيادة بسماتيك الأول مؤسس الأسرة 26، وفي فترة حكم الأسر 27-30 كان الفرس يسيطرون على مصر، واستمروا في ذلك حتى طردوا منها عندما غزا الإسكندر الأكبر مصر، وكانت هذه هي نهاية تاريخ الفراعنة.¹

الفرع الثاني: الحياة الإقتصادية في الحضارة المصرية

سنعرض في هذا الفرع أهم الأحداث الإقتصادية في الحضارة المصرية القديمة من عدة نواحي، وهذا كما يلي:

أولاً: الزراعة في الحضارة المصرية

يمكن القول أن المصريين اعتمدوا على نهل النيل في المجال الزراعي، كونه أهم مورد وأساس ثروة الحضارة المصرية، كما أنه أهم مصدر للدخل المصري، وقد ازدهرت الزراعة في مصر لدرجة أنها أثرت على المصريين فأصبحوا متعلقين بوطنهم كثيراً، وعلمهم الوحدة.²

¹ - أحمد صادق سعد، مرجع سابق، ص: 42.

² - عبد الحليم نور الدين، تاريخ و حضارة مصر القديمة، الخليج العربي للطباعة و النشر، مصر، 1999، ص: 25

تمتع الفلاح المصري بحقوق عديدة أهمها الحق في تملك الأرض، بالرغم من هذه الحقوق إلا أنه كان أقل فئات المجتمع ثروة، بسبب خضوعه لنفوذ الكبراء الذين كانوا يشترون منه المحصول بثمن قليل وإجباره على أعمال السخرة، اعتمدت الزراعة في مصر على مياه النيل الذي كان يغمرها بالفيضانات فيمدها بالمياه والغرين.

كما كانت مصر تحقق اكتفاءها الذاتي من محاصيلها الزراعية، ومن أشهرها نذكر:

- الحبوب: مثل القمح، الشعير.
- الخضروات: البصل، الثوم، الخس.
- البقوليات: العدس، السمسم، الترمس.
- النباتات ذات الألياف (الكتان) لصناعة النسيج.
- الأشجار المثمرة: العنب، البلح، التين.¹

أما عن ملكية الأراضي الزراعية في مصر القديمة فكانت ملكاً للملك، وعلى الفلاحين أن يقوموا بزراعتها، وعند الحصاد يأخذون منها أرزاقهم. وكان فرعون يعطى للجنود المخلصين والموظفين الممتازين أراض زراعية تكون ملكاً لهم ولورثتهم، ومن هنا لم تتعد الملكية الخاصة للأراضي الزراعية في مصر الفرعونية.²

ثانياً: الصيد وتربية الحيوانات

كانت نشاطات الصيد متنوعة وتمارس في كل من البر، الجو والمياه.

- صيد البر: يقوم على صيد الحيوانات من الصحراء مثل الغزلان والأسود ولم يهتم المصري بها لأنها ليست وسيلة لكسب العيش بل كانت رياضة لعلية القوم.
- صيد الطيور: مثل صيد السمان والطيور والبجع وكانت لا تحتاج مجهوداً كبيراً.
- صيد الأسماك: يمثل مصدراً أساسياً من مصادر الغذاء خاصة للطبقات الفقيرة من النيل والترع والبحيرات.³

¹ -كمال الدين سامح، لمحات في تاريخ العمارة المصرية منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث، دار نهضة الشرق، مصر، 2005، ص: 7.

² -رشدي سعيد، نهر النيل، نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل، دار الهلال، مصر، 1998، ص: 29.

³ -توفيق محمد عبد الجواد، العمارة وحضارة مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2000، ص: 36.

أما الحيوانات فاحتل البقر المكانة الأولى بين الحيوانات إضافة إلى تربية الأغنام والماعز ومن الطيور التى عرفوها البط والإوز والدجاج والحمام واعتنوا بتربية النحل. كان الفلاح يستفيد من الحيوانات فى أعمال الزراعة والنقل، وكان ينتفع بصوفها ووبرها وشعرها وجلودها ولحومها¹.

ثالثاً: الصناعة فى الحضارة المصرية

تتقدم الصناعة وتزدهر على ما تقدمه البيئة من مواد زراعية أو مناجم أو محاجر، واستغل المصري القديم المواد التى قدمتها له البيئة، واستطاع أن يصنع الكثير، وهذا ما تشبه الآثار الموجودة فى المقابر والمعابد والأهرامات ما يشهد بالعظمة والرقى والدقة والجمال، ومن أهم الصناعات فى الحضارة المصرية:

-الصناعات الحجرية: وهى من أقدم الصناعات المصرية، فمن الحجر صنع الأواني والجرار والأسلحة والتوابيت، كما استخدم المرمر فى صناعة التحف.

-الصناعات الفخارية والخزفية والزجاجية: برع المصري القديم فى صناعة الأواني الفخارية منذ أقدم العصور، فقد استعمل الصلصال الجيد، ثم يحرق بالنار، ثم يزخرف بالرسوم والنقوش والصور الجميلة. أيضاً استخدم المصري القديم القيشاني فى عمل لوحات جميلة، وعقود، وتكسية الجدران والأبواب. والمصريون القدماء أول شعوب الأرض فى صناعة الزجاج من الرمال.

-الصناعات الجلدية: عرف المصري القديم أهمية الجلود، فقام بدبغها وصبغها، ثم صنع منها النعال والسيور الجلدية وأغطية الكراسي، وعلب المرايا، كما استخدم جلد الماعز فى نقل الماء وحفظ السوائل، كما كانت الجلود البيضاء تستخدم فى الكتابة إلى جانب البردي.

-الصناعات المعدنية: استخدم المصري الذهب فى صنع الحلي والأواني، كما استطاع المصري القديم أن يصنع أدواته، مثل الأسلحة وأدوات الزينة من النحاس، كما استخدم البرونز فى صناعة التماثيل الصغيرة، أيضاً صنع المصري القديم الحلي من الذهب والفضة والأحجار الكريمة. وجميع هذه الصناعات تؤكد ما² توفر للصناع المصريين من ذوق فني، وبراعة فائقة، ومن أجمل تلك الصناعات تلك التى وجدت فى مقبرة "توت عنخ آمون" التى مازالت تدهش العالم حتى اليوم.

¹ -توفيق محمد عبد الجواد، نفس المرجع السابق، ص: 37

² -سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط1، دار العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ص: 72-73.

-الصناعات الخشبية: استورد المصريون القدماء خشب الأرز من "فينيقيا" (لبنان)، ومنه صنعوا السفن والتوابيت والأسرة والمقاعد، واستوردوا خشب الأبنوس من بلاد النوبة وبلاد "بونت" (الصومال)، ومنه صنعوا أثاث القصور الملكية وبيوت الأمراء. وقد اضطر المصريون القدماء إلى استيراد الأخشاب الجيدة، لأن الأخشاب المصرية، مثل الجميز والسنت والصفصاف لم تكن تصلح للصناعة الجيدة. استخدم المصري القديم الكثير من الأدوات كالإزميل والمنشار، وبرع في فن حفر الخشب وتطعيمه بالعاج والأبنوس.

-الصناعات القائمة على البردي: نجح المصري القديم في صناعة ملابس من الكتان، وكان هذا الكتان من النوع الرقيق الذي يشبه الحرير، ومن النوع الخشن الثقيل، وكانت تسبق عملية النسيج عملية الغزل بمغازل من الخشب التي تقوم بها النساء، وكان النسيج يتم بأنوال تشبه الأنوال البلدية حالياً. أيضاً استخدم المصري القديم الألوان في زخرفة الملابس.

-صناعة الغزل والنسيج: نجح المصري القديم في صناعة ملابس من الكتان، وكان هذا الكتان من النوع الرقيق الذي يشبه الحرير، ومن النوع الخشن الثقيل، وكانت تسبق عملية النسيج عملية الغزل بمغازل من الخشب التي تقوم بها النساء، وكان النسيج يتم بأنوال تشبه الأنوال البلدية حالياً. أيضاً استخدم المصري القديم الألوان في زخرفة الملابس.

-صناعة الجلود: تقدم المصري القديم في فن الدباغة، وأهم منتجاته الأحذية والأغطية وأرضية العربات والوسائد والمقاعد وقوارب المياه.¹

¹ -سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط1، دار العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ص: 72-73.

رابعاً: التجارة في الحضارة المصرية

كان يغلب على المجتمع الفرعوني طابع الاقتصاد الطبيعي لكن هذا لا يعني أن التجارة كانت معدومة، فقد كانت مصر سوقاً عالمياً في العهود القديمة، فقد ساعد وادي النيل وموقع مصر الجغرافي، وازدهار الصناعة في ترويج التجارة الداخلية والخارجية.

-التجارة الداخلية: كانت تنقل على متن القوارب المصنوعة من نبات البردي الإمدادات الغذائية، والأحجار لبناء المعابد، والبضائع التجارية، وذلك عبر نهر النيل الشريان الرئيسي للبلاد، كما كانت تحمل الفلاحين ومحاصيلهم إلى الأسواق المحلية التي تقام في المدن والقرى المختلفة، يتبادل فيها الفلاحون منتجاتهم ومحاصيلهم. كانت المقايضة أساس التعامل ووسيلة البيع والشراء، ثم ظهرت العملة التي استخدمت في العمليات التجارية، والتي صنعت من الذهب والفضة والنحاس. وإلى جانب نهر النيل كوسيلة انتقال، اعتمد المصريون القدماء على الدواب، مثل الحمير أو العربات التي تجرها الثيران في حمل البضائع، واستخدموا الموازين والمكاييل، مثل القدح والكيله والإردب.

-التجارة الخارجية: ازدهرت التجارة الخارجية، واتصل المصريون القدماء بالبلاد المحيطة بهم، وسارت سفن الأسطول المصري التجاري في البحرين الأحمر والمتوسط حاملة بضائع مصر إلى بلاد "بونت" (الصومال) و"فينيقيا" (لبنان) وجزر البحر المتوسط وبلاد النوبة، وتعود محملة بمختلف السلع والبضائع.

كانت السفن المصرية تحمل البضائع والسلع المصرية من حبوب، وورق بردي، وحلي، ومنسوجات كتانية، وتعود محملة بالبضائع، مثل خشب الأرز من "فينيقيا"، والعطور وخشب الأبنوس والعاج من بلاد "بونت"، والزيت والأخشاب والأسلحة المعدنية من سورية وجزر البحر المتوسط.¹

المطلب الثاني: الحضارة اليونانية والرومانية في ظل اقتصاد الحضارات القديمة

اشتهر الإغريقون بالفكر الفلسفي والأدب، مما جعل الفكر الاقتصادي لدى الإغريق ضمن الكتابات الفلسفية، واعتبر كمجرد علم إدارة المنزل (اقتصاد عائلي)، لذا لا نجد نظريات متكاملة عن المشاكل الاقتصادية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الاقتصاد الإغريقي كان قائماً على أساس الرق، وكانت النظرة إلى العمل بشكل عام نظرة احتقار من طرف المفكرين.

¹ -رشدي سعيد، مرجع سبق ذكره، ص: 39-41

الفرع الأول: الحضارة اليونانية تطورها والوقائع الاقتصادية فيها

أولاً: لمحة عن الحضارة اليونانية

ظهرت الحضارة اليونانية بعد انتهاء الحضارة الميسينية عام 1200 قبل الميلاد، واستمرت حتى وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 قبل الميلاد، وتميزت هذه الحضارة بإنجازاتها السياسية، والفلسفية، والعلمية، والفنية الكبيرة، من الجدير بالذكر أن أشهر مدينة في الحضارة اليونانية هي مدينة أثينا، حيث امتازت أثينا بالنهج الديمقراطي منذ القرن الخامس، انتشر النفوذ اليوناني للعديد من المناطق ومن ضمنها إسبانيا، نهر السند، وجميع مناطق العالم الأوسط. بدأت الحضارة المينوية أقدم الحضارات اليونانية من 2700 قبل الميلاد، وانتهت عام 1500 قبل الميلاد، ظهرت الحضارة الميسينية منذ 1900 قبل الميلاد، وظهر عصر الأبطال بعد بدء الحضارة الميسينية، وانتهت عام 1100 قبل الميلاد. ظهرت أول دورة للألعاب الأولمبية عام 776 قبل الميلاد، بحيث لم تؤثر الحروب الواقعة بين المدن اليونانية على الألعاب، وامتازت الألعاب الأولمبية بكونها مزيجاً ما بين المسابقات الرياضية والمهرجانات الدينية، كما وامتازت هذه الألعاب باقتصارها على اليونانيين فقط، وأقيمت هذه الألعاب كل أربع سنوات.¹

ثانياً: الزراعة

ساعدت الطبيعة الجغرافية لبلاد اليونان من حيث الموقع والتضاريس والمناخ على التنوع في النواحي الاقتصادية، واعتبر الفلاح عماد المجتمع اليوناني رغم فقره، المواطنون الإغريق وحدهم الذين كانوا يحق لهم أن يمتلكوا الأرض، وكان الفلاحون جميعهم تقريباً يمتلكون الأرض التي يفلحونها وكان نظام امتلاك العشيرة كلها للأرض قد اختفى واستقر نظام الملكية الفردية وتوطدت أركانه.² كان هناك محصول ضئيل من الحبوب ووفير من الزيتون والعنب، والزيتون ذو فوائد كثيرة لليوناني، فعصرته الأولى تمدّه بالزيت يأكله، والثانية تمدّه بالزيت يدهن به، والثالثة تعطيه زيتاً يضيء به بيته، وما بقي منه بعدئذ يتخذ وقوداً، وكانت هذه الغلة الزراعية من الحبوب، وزيت الزيتون، والتين، والعنب، والنبذ، أهم المواد الغذائية في أتك.³

¹ - سنيو بوس شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي دار العالمية، مصر، 2012، ص: 152.

² - باهور لبيب، لمحات من الحضارات القديمة، مطبعة المقتطف، القاهرة، 2002، ص: 56.

³ - <https://www.ts3a.com/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%A9/>

(اطلع عليه بتاريخ 2018/12/30)

ثالثاً: الصناعة

تميزت الصناعة في اليونان القديمة بصغر الحجم وشدة التخصص في نوعها نذكر منها:

- التعدين: كان الغرض منه استخراج المعادن من مناجمها، وكانت أرض أتكا غنية بالرخام، الحديد، الخارصين، الفضة، الرصاص والفضة.
- صناعة الجلود: أنشئ اليونانيون مدابغ كبيرة، وكانت أهم منتجاتهم صناعة السروج وسائر عتاد الخيل، والأحذية.
- الحرف اليدوية: وشملت البناء، النجارة، العمل في الحجارة والمعادن، والطلاء، والحدادة وغيرها من الحرف التي تتطلب الكثير من العمل.
- صناعة النسيج: تميزت بأنها نسوية، حيث كن يصلحن ثياب الأسرة وفراشها، ومنهن من يمشطن الصوف أو يدرن عجلة الغزل، أما المنسوجات الخاصة فكانت تشتري من المصانع أو تستورد بالإضافة إلى غزل خيوط الحرير.

رابعاً: التجارة

- زخرت اليونان في القدم بكل أنواع السلع والمنتجات من حول العالم، فكانت تستورد العديد من السلع إضافة إلى إنتاجها، فكان التجار يصدرون الخمر، الزيت، الصوف، المعادن، الرخام، الخزف، الأسلحة، مواد الترف، الكتب، التحف الفنية، أما الإستيراد فكانت تستورد العديد من السلع مثل:
- الحبوب، الفاكهة، اللحوم والسّمك، التوابل، من بيزنطا، سوريا، مصر، إيطاليا، صقلية، فينيقية، قورينا، البحر الأسود.
 - والنحاس من قبرص، والقصدير من إنجلترا، والحديد من شواطئ بحر البنّس، والذهب من ثاسوس وتراقية، والبرونز من اترويا؛ والعاج من بلاد الحبشة، والسيوف من خلقيديا، والزجاج من مصر؛ والقرميد من كورنث.
 - الخشب من تراقيا وقبرص.¹

¹ - <https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%82%8A%D9%88%D9AF%D9%8A%D9%85%D8%A9>
(اطلع عليه بتاريخ 2018/11/30).

- الأقمشة المطرزة من بلاد الشرق الأدنى، والصدف والكتان والأصباغ من فينيقيا، والأحذية والعطور والأدهان من بلاد العرب.

- الرقيق من ليديا وسوريا وسكوديا.

ولم تكن المستعمرات أسواقا فحسب، بل كانت فوق ذلك وكالات شحن ترسل البضائع الأثينية إلى الداخل.

خامسا: وسائل النقل

اعتمدت على كل من النقل البحري والبري لأداء عدة أغراض، فاستخدمت السفن في البحار لنقل البضاعة مع الدول المجاورة، ودواب النقل والمتمثلة في: الثيران، البغال، والخيول.¹

الفرع الثاني: الحضارة الرومانية تطورها والوقائع الاقتصادية فيها

امتدت الحضارة الرومانية على مسافة زمنية من (509 ق.م - 476م) ونهاية الإمبراطورية الرومانية عام 476م ما هو إلا سقوط الإمبراطورية الغربية ولكن بقيت الإمبراطورية الشرقية أو روما الشرقية ممتدة تحت اسم الفترة البيزنطية.

رغم أن الرومان أقاموا إمبراطورية مترامية الأطراف، شملت البحر الأبيض المتوسط بأكمله وامتدت في أوجها إلى ما وراء ذلك، فلم يكن لهم إسهامات وافرة في أوجه المعرفة الإنسانية. صحيح أنهم أعطوا العالم تراثا قانونيا رائعا، وأوغلوا في بيان طبقات المواطنين وحقوقهم وواجباتهم، ونظم الحكم والإدارة، ودونوا القوانين وشيدوا الطرقات، ولكن ذلك كله لا يقاس بالخصب الفكري الذي ميز الحضارة اليونانية، ويصدق ذلك بوجه خاص على الفكر الاقتصادي.

وما يوجد عند مفكرين من لمحات اقتصادية لا يرجع إلى تحليل الواقع، وإنما يعبر عن القيم الاجتماعية التي كان يدين بها المجتمع الروماني، وأهم مساهماتهم الاقتصادية:

أولاً: الزراعة

وضع الرومان الزراعة في مكان الصدارة من حيث وجود النشاط الاقتصادي، واعتبروا أن الزراعة حرفة نبيلة وأن انتعاشها أحد الدعامات الأساسية التي تقوم عليها الثروة والسلطة السياسية.²

¹ - <https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%82%8A%D9%88%D9AF%D9%8A%D9%85%D8%A9> (اطلع عليه بتاريخ 2018/11/30).

² - صديقي شفيقة، مطبوعة محاضرات في تاريخ الوقائع الاقتصادية، جامعة الجزائر 3، 2016-2017، ص: 12.

ثانياً: التجارة

شهد القطاع التجاري قفزة نوعية وكمية، فبعد انحصارها في البداية على تبادل منتجات القرية الغذائية بمنتجات المدينة الحرفية تطورت التجارة، وظهرت طبقة التجار وأصحاب رؤوس الأموال وبدأ التحول الملموس والتدريجي من الإقتصاد الزراعي إلى الإقتصاد التجاري.

ثالثاً: النقود

في تقديرهم مصدر البلاء الإجتماعي، ويلحق بها من يتعامل فيها بالإقراض والربا.¹ نستطيع أن نقول في الأخير أن الحضارات القديمة اعتمدت على الموارد الطبيعية المتوفرة لديها، فلمصر النيل، وكان ذلك هو العامل الرئيسي لتكون بلدا زراعيا منذ أقدم العصور، بالإضافة إلى كونه شريان التجارة المصرية، فقد كان عامل مساعد لتحقيق رخاء البلاد وثروتها.

كما ازدهر الإقتصاد في اليونان القديمة القائم على تحقيق الإكتفاء الذاتي، فقد اشتهرت بلاد اليونان بالزيتون ومنتجاته وكذلك الكروم والنبيذ، ما جعلها تفكر في التصدير للبلدان المجاورة وبذلك ربطت بين الزراعة والتجارة عن طريق البحر كوسيلة من وسائل النقل الأرخص والأمن، ما ساعد على قيام الحضارة اليونانية وازدهارها. أما الحضارة الرومانية فلم تقدم الكثير من ناحية الفكر الإقتصادي كالحضارة الإغريقية والمصرية لكن هذا لا يمنع أنها من الحضارات المؤثرة في الإقتصاد.

أسئلة الفصل الثاني:

- ما هي أوجه التشابه بين الحضارة البابلية والسومرية؟
- ما هي عوامل الأساسية للحياة الإقتصادية في الحضارة المصرية؟
- انتقد فكرة المدينة الفاضلة لأفلاطون في ظل اعتماد الحضارة اليونانية على الرق في عملياتها الإنتاجية؟

¹ - صديقي شفيقة، مرجع سابق، ص: 12.

الفصل الثالث: الوقائع الإقتصادية في العصور الوسطى

ظهرت العديد من النظم الإقتصادية والسياسية عبر العصور المختلفة وكان كل نظام من هذه الأنظمة مزدهرا في عصر ما دون غيره، وتمتد فترة العصور الوسطى من القرن 500 م إلى غاية القرن 1700 م، وسادت في هذه الفترة عدة أنظمة إقتصادية سنتطرق إليها من خلال مباحث ومطالب هذا الفصل.

المبحث الأول: النظام الإقطاعي

اهتم الباحثون بدراسة النظام الإقطاعي الذي أصبح نظاما سياسيا، اجتماعيا واقتصاديا انتشر في فترة العصور الوسطى، وظهر هذا النظام تحديدا في قارة أوروبا الغربية ولكنه يعود الى أصول رومانية وجرمانية، فظهرت بداياته في الفترة الزمنية بين القرنين الثامن والتاسع للميلاد، ومن ثم امتد من القرن السادس عشر للميلاد حتى تراجع وانتهى نتيجة للتقدم التجاري والصناعي.

المطلب الأول: ماهية النظام الإقطاعي

سنتطرق في هذا المطلب إلى تعريف وتطور النظام الإقطاعي، كنقطة انطلاق لدراسة الجانب الإقتصادي لهذا النظام.

الفرع الأول: تعريف النظام الإقطاعي

هو نوع من أنواع الأنظمة الإقتصادية والسياسية التي ظهرت في كل من أوروبا الوسطى والغربية خلال فترة العصور الوسطى، ويعرف بأنه نظام يعتمد على ملكية الأفراد للأراضي التي تشكل الوسائل الإنتاجية ومن ثم حرصهم على استغلال الفلاحين للعمل فيها، حيث كانت الأراضي في تلك الحقبة الزمنية هي الوسيلة الأساسية للإنتاج وشملت الأملاك الإقطاعية كلا من أراضي القرى والمدن، كما حدد هذا النظام نوعية طبقات للأفراد في المجتمع مما أدى الى ظهور مصطلح المجتمع الإقطاعي ويتألف من¹:

¹ - مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص: 108.

- السيد الإقطاعي: الشخص الذي يمتلك الأرض وقد يكون من طبقة النبلاء أو من طبقة المحاربين.
- الشخص التابع: الشخص الذي عليه العمل في الفلاحة واستغلال الأرض ويكون من طبقة العبيد بالوراثة.
- الأرض المقطعة: تعرف بالأرض التي يمنحها السيد الإقطاعي للتابع للعمل بها وضمان معيشته.

امتلك النظام الإقطاعي جانبين هما الجانب الإقتصادي والجانب السياسي، واختلفا عن بعضهما من فترة العصور الحديثة، حيث كانت الطبيعة الإقتصادية المتعلقة بالملكية المطلقة للأراضي تعد من الحالات الطبيعية، أما من حيث الطبيعة السياسية فكانت الفكرة الرئيسية هي سيادة الدولة أثناء العصر الحديث حيث تنفذ الدولة مهامها وسلطاتها باستخدام الرؤساء والموظفين، وعند تطبيق النظام الإقطاعي لم يعد للدولة أي تأثير مما أدى إلى إنقسام سلطاتها بين مجموعة من الأشخاص، وانتقلت لهم هذه السلطات نتيجة لانهايار وتراجع الدولة، ونستنتج من ذلك أن النظام الإقطاعي ظهر بسبب الملكية المجزأة في الطبيعة الإقتصادية والسيادة المجزأة في الطبيعة السياسية.¹

ومما سبق نستنتج أن للنظام الإقطاعي خصائص نذكر منها:

- الضيعة أو الإقطاعية: كان الاقتصاد الإقطاعي يقوم على الزراعة فلم يكن للصناعة أو التجارة فيه إلا دور قانوني وكانت الأراضي التابعة للسيد الإقطاعي تنقسم الى ثلاثة أنواع:
 - الأراضي الخاصة بالسيد دون غيره.
 - أراضي الفلاحين أو الضيعة وهي أراضي مقسمة على أسر الفلاحين ويقومون بزراعتها لحسابهم الخاص مع دفع التزامات نقدية أو عينية للسيد.
 - الأراضي الجماعية وهي المحيطة بالقرية ومنها الغابات والمراعي والتي يملكها السيد ولكن يكون للفلاحين حق استعمالها.²

¹ - مفيد الزبيدي، مرجع سابق، ص: 109-110.

² - نيفين الكردي، مرجع سابق، ص: 170.

كانت الضيعة عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون في قرية واحدة ويتعاونون في الزراعة ويشتركون في دفع الضرائب للسيد وكانوا ينتجون ما يكفي حاجاتهم من مأكّل ومشرب أي أن اقتصادهم كان يقوم على الاكتفاء الذاتي، كان العبء الأكبر من العمل في الضيعة ملقى على عاتق العبيد الذين كانوا يتمتعون بالقليل من الحقوق في حين كان عليهم العديد من الواجبات والالتزامات، وكان على السيد أن يزودهم بالأرض والدواب والحيوان وحد الكفاف من الغذاء في فترات ندرته كما كان عليه أن يحميهم من الأعداء الخارجيين، وكانت الضيعة تتمتع بالاستقلال السياسي والاجتماعي ونظرا لعزلتها فإنها كذلك كانت تمارس الاستقلال الاقتصادي وترتب على ذلك أن كل إنتاجها كان يستهلك محليا ولم يكن هناك أسواق أو تبادل بعد، نتيجة لذلك فإن ثروة الأسياد لم تكن تقاس بالنقود ولكن بمدى ما يملكون من أراضي وما عليها من عمال ودواب.

- المدينة: قد أدى انتشار العنف والقلق السائد في هذا العهد (هجمات الفايكينغ) إلى تكتل السكان في قرى قريبة من قصور الأسياد المحصنة أو في مناطق يسهل الدفاع عنها وكان سكان المدن من التجار والصناع والكثير منهم من أصل رقيق يحاولون بشتى الوسائل الحصول على استقلال ذاتي يتيح لهم إقامة إدارة ومحاكم خاصة بالمدينة وكان لانتشار المدن وازدهارها أثر كبير على الإقتصاد الإقطاعي حيث ازدادت حاجة الأسياد الى أموال هائلة للحصول على ما يرغبون من المدينة وقد كان هذا من أهم أسباب تحويل الالتزامات العينية الى التزامات نقدية.
- النقابات الطائفية: كان أصحاب الحرف يقيمون في المدينة خارج سلطة الضيعة ويعملون هم وعائلاتهم ومساعدتهم في إنتاج السلع المختلفة ولذلك قاموا بتنظيم أنفسهم في جمعيات حرفية تدافع عن مصالحهم وتنظم الحرفة، وعرفت هذه الجمعيات باسم النقابات الطائفية، وكانت هذه النقابات تملك بعض السلطات العامة فكانت تعمل على المحافظة على مستويات أسعار السلع عن طريق تحديد الأسعار ولا يجوز لأي عضو البيع دونها، كما أن النقابة كانت تحدد من العمال وأجورهم وطرق الإنتاج وتنظم العلاقة العامة بين مختلف أعضاء الحرفة وتقوم بالحكم بينهم. كذلك كانت طبقات الفلاحين تقوم من حين لآخر بثورات يقمعها السادة وقد دخل النظام الإقطاعي في أزمة حادة وبدأت تظهر بوادر نظام اجتماعي جديد وهو النظام الرأسمالي.¹

¹ -نيفين الكردي، مرجع سابق، ص 171

الفرع الثاني: تطور النظام الإقطاعي

أولاً: طبقات النظام الإقطاعي

تتمثل طبقات النظام الإقطاعي في:

-الإقطاعيون

-القن: تلتزم طبقة القن بعدة واجبات مثل العمل المجاني من 3 إلى 5 أيام في الأسبوع، الأعمال الإضافية مثل حرث وحصاد وتقديم مقابل عيني بالإضافة لضرائب مختلفة خاصة المرتبطة بالمناسبات (زواج).

-طبقة الفلاحين الأحرار

ثانياً: أركان النظام الإقطاعي

اعتمد تطبيق النظام الإقطاعي على وجود ثلاثة أركان رئيسية خاصة فيه، وتقسم الى الآتي:

- المجتمع القروي: شكل المجتمع القروي الفئات التي عاشت على زراعة الأراضي عن طريق الاعتماد على التعاون المشترك بين الناس ويقسم هذا المجتمع الى الأقسام الآتية:
- الفلاحون: هم الأفراد الموزعون بين الأحرار والعبيد وشكلت غالبيتهم في القرنين التاسع والعاشر للميلاد منطقة وسطى بين العبيد والأحرار ومن ثم ظهرت جماعة جديدة عرفت باسم الأقنان.

وفيما يأتي معلومات عن فئات الفلاحين:

-الأحرار: هم أصحاب الأراضي ولا يلتزمون بأي قيود للإقطاعيين وشكلوا نسبة 4%بالمئة من إجمالي عدد الفلاحين الذين يعملون في زراعة الأراضي في إنجلترا، بينما كانت نسبتهم أكبر في كل من القسم الجنوبي من فرنسا والقسم الشمالي من إيطاليا والقسم الغربي من ألمانيا.¹

-العبيد: هم الذين كانوا يعملون في منازل الإقطاعيين ومن ثم أصبحوا يعملون في زراعة الأراضي، وكان عملهم في البداية مقتصر على تقديم الخدمات للمنازل في إنجلترا، ولم تكن لهم أهمية في فرنسا مقارنة مع ألمانيا التي شهدت ارتفاعاً في نسبتهم.

¹ -موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005، ص: 56.

-الأقنان: هم الأشخاص الذين كانوا أحراراً، ومن ثم أرغموا نتيجة لظروفهم المعيشية على التضحية بحريتهم.

- القرية: هي المنطقة التي عاش فيها الفلاحون في النظام الإقطاعي واستخدمت ثلاثة ألفاظ للإشارة إليها وهي العزبة والضيعة والقرية.
- فلاحة الأرض: هي الطريقة المستخدمة في زراعة الأراضي وتم الاعتماد على استخدام نظامين للزراعة الأول يشمل زراعة حقلين أما الثاني فاعتمد على زراعة ثلاثة حقول.
- نظام الدومين: بمعنى كافة أملاك الإقطاعيين ويعتمد نظام الدومين على تقسيم الأراضي إلى قسمين، حيث ينتفع صاحب الأرض بأحد هذه الأقسام أما القسم الآخر فيوزع على الفلاحين مقابل تقديمهم خدمات للإقطاعيين، ومع مرور الوقت ازدادت سلطة الإقطاعيين فأصبحوا حاجزاً يفصل بين الفلاحين في الدومين وحكومات الدول.¹

ثالثاً: مراحل النظام الإقطاعي

اعتمد النظام الإقطاعي في تطوره على المرور بمراحل بطيئة، فظهر نتيجة الأنظمة الإقتصادية التي سبقته ودون أي إرادة فردية من الشعوب، حيث هاجم البربر الجرمان أغلب أراضي القارة الأوروبية الغربية، ونتج عن ذلك تكامل بين الثقافة الرومانية والثقافة الجرمانية مما أدى الى ظهور مجتمع يحتوي على خليط من العادات والتقاليد الرومانية والبربرية الجرمانية لذلك اهتم الباحثون بتعزيز دراسة النظام الإقطاعي لمعرفة تطوره ونشأته، فانقسمت الآراء حول أصالة جذوره فالبعض قالوا بأنه نظام جرمانى والبعض الآخر أشاروا إلى أنه نظام روماني ونتج عن ذلك ظهور مدرستين لدراسة النظام الإقطاعي وهما: المدرسة الرومانية والمدرسة الجرمانية.

¹ -موريس بيشوب، مرجع سابق، ص: 57-58.

وعموما يمكن تقسيم عصر النمو الإقطاعي الى ثلاثة عصور فرعية وهي:

-عصر التمهيد: هو اعتبار النظام الإقطاعي ظاهرة حدثت نتيجة للأحداث والظروف ومن ثم تطورت بالاعتماد على دور مجموعة من الرجال الذين يمتلكون مهام متعددة.

-عصر النمو: هو العصر الذي شهد حربا في القرن التاسع للميلاد أدت الى تطور النظام الإقطاعي.

-عصر الكمال: هو العصر الذي شمل القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد وتزامن مع غياب وجود الحكومات ذات الطبيعة المركزية في أوروبا الغربية، وفي المقابل ازداد تأثير السادة الإقطاعيين الذين حرصوا على تأسيس عائلات إقطاعية، مما ساهم في تطور العصر الإقطاعي.

المطلب الثاني: انهيار النظام الإقطاعي

قام الفلاحون والعبيد والعمال بالعديد من الثورات التي زعزعت استقرار هذا النظام، مما أدى في النهاية إلى انهياره، وسنتطرق في هذا المطلب إلى كل من مزايا وعيوب النظام الإقطاعي، وأسباب انهياره.

الفرع الأول: مزايا وعيوب النظام الإقطاعي

أولاً: مزايا النظام الإقطاعي

- مستوى منخفض من التقنية، تتسم فيه أدوات الإنتاج بالبساطة وبرخص قيمتها عامة، ويتميز الإنتاج بدرجة عالية من الفردية ويكون تقسيم العمل عند مستوى بدائي من التطور.
- الإنتاج من أجل سد الحاجات المباشرة للعائلة أو المجتمع أو القرية و ليس من أجل سوق أوسع، وبذلك فإن الإقطاع هو نظام اقتصادي يوجه إلى تحقيق المنفعة وليس إلى تحقيق الربح.
- زراعة أرض السيد أو ما يطلق عليها بالضيعة على نطاق واسع عن طريق خدمات العمل الإلزامية
- اللامركزية السياسية حيث كانت موزعة بالتفويض من الملك إلى اللوردات الذين بدورهم يوزعون السلطات على الأصناف.¹

¹ -صديقي شفيقة، مرجع سابق، ص:19.

- حيازة السادة للأراضي مشروطة بنوع من حيازة الخدمة.
- ممارسة السيد الإقطاعي لسلطات قضائية أو شبه قضائية على السكان التابعين لها.

ثانياً: عيوب النظام الإقطاعي

كان النظام الإقطاعي يركز على تركيز السلطة في يد الإقطاعيين وحرمان البقية من حقوقهم الطبيعية وهذا أدى إلى عدم وجود التوازن في هذا النظام الإقتصادي، وتمثل ذلك في وجود العديد من القوانين الصارمة والمتسلطة من قبل الإقطاعي اتجاه العبيد ومن أهمها ما يلي:

- وجود ثلاثة ضرائب نقدية في العام الواحد على العبيد.
- يحصل الإقطاعي على جزء من محصول العبيد وماشيتته.
- كان العبيد يقومون بالعمل في نظام يدعى السخرة، وفيه يعملون بدون أجر لعدة أيام لصالح السيد.
- كان العبيد يحصلون على الطعام والشراب لقاء عملهم لدى الإقطاعيين ويدفعون الأجر للسيد الإقطاعي عند استخدام أدوات السيد الإقطاعي في الطعام والشرب.
- كان العبيد يدفعون المال لقاء سماح الإقطاعي لهم بصيد الأسماك أو الحيوانات البرية الأخرى.
- يكون الإنضمام الى جيش السيد الإقطاعي واجبا في حال نشوب حرب كان الإقطاعي طرفا فيها.
- كان لزاما على العبيد شراء سلع السيد الإقطاعي دون غيرها من السلع الأخرى.

الفرع الثاني: أسباب سقوط النظام الإقطاعي

يمكن تلخيص الأسباب التي أدت الى انهيار النظام الإقطاعي فيما يلي:

*ظهور النقود واستخدامها وسيطا للتبادل نتيجة الصعوبات والمشاكل المرتبطة بنظام المقايضة وقد أدى ذلك الى ازدهار الأسواق وتقويتها وتمكن المزارعون من بيع كميات من محاصيلهم ودفع الالتزامات النقدية للسادة.¹

¹ - محمد إبراهيم أبو شادي، النظم الإقتصادية، دار النهضة العربية، مصر، 2010 ، ص: 11 .

* حلت الدول القوية التي يحكمها الملك محل الولايات.

* التحول من الاقتصادي العيني الى الاقتصاد التقني.

* التطور في النشاطات الحرفية وفي المبادلات والذي أدى الى إعادة الدور الذي تؤديه المدن.

* ظهور الدولة المركزية القومية في معظم دول غرب أوروبا.

* الحروب الصليبية.

* بدأت الصناعة تزدهر مما أدى الى زيادة ملموسة في سكان الحضر ونشأة الكثير من المدن والهجرة إليها وقيام أسواق واسعة لتصريف منتجات الزراعة كما أن أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة هاجروا إلى المدن وقاموا بتأجير أملاكهم مقابل حصولهم على إيجارات نقدية ودفع الضرائب، ونجد أنه حدث تغير جوهري أو سلسلة تغيرات أساسية في طرق الصناعة التي نقلت الأفراد من الحرف الزراعية الموروثة الى أساليب جديدة في العمل والمعيشة وهو ما يعرف بالثورة الصناعية.¹

من خلال بحثنا نرى أن النظام الإقطاعي قد عاد للتواجد في عصرنا الحاضر بطرق أكثر خطورة وقسوة عما كان عليه في العصور السابقة، من خلال سيطرة وحكم الدول العظمى على شعوب البلدان الضعيفة والفقيرة، باستغلالها لخيرات وثروات تلك الدول وتدميرها بالفتن والحروب المشتتة للشعوب.

المبحث الثاني: الثورة الصناعية

في أواسط القرن الثامن عشر ظهرت بوادر الثورة الصناعية في أوروبا، فأحدثت تأثيرا جذريا في مختلف جوانب الحياة سواء الاقتصادية، السياسية أو الاجتماعية، كانت إنجلترا هي أول البلدان التي ظهرت بها الثورة الصناعية لعدة مقومات تميزها عن سائر الدول حول العالم، حيث بدأت تظهر في مدن إنجلترا و الولايات المتحدة بعض الاختراعات المتميزة و الاستثنائية غيرت معها حياة وطريقة عمل الناس تدريجيا، حيث شيدت مصانع ضخمة لاحتواء هذه الآلات وزيادة الإنتاج، وعرف عن هذا التحول من اليد إلى الآلة بـ: (المكننة)، وتطورت معها بالمقابل طرق المواصلات كالقطارات التي تمشي على السكك الحديدية التي مكنت من ربط المصانع بالأسواق في أنحاء العالم.

¹ - محمد إبراهيم أبو شادي، مرجع سابق، ص: 14-15.

في ظل هذا التطور بدأ الفلاحون والأشخاص من الطبقة العاملة في القرى والمداشر يفرون نحو المدن لتلبية حاجات المصانع لليد العاملة حيث قَدَّرت بآلاف الأشخاص في بعض المصانع وسجلت معها أرباح طائلة لأصحاب المصانع وبالمقابل برزت معها ظواهر جديدة مثل التلوث واستغلال القصر من الأطفال ، فكانت الثورة الصناعية نعمة للبعض ونقمة للآخرين.

المطلب الأول: أهم المفاهيم المتعلقة بالثورة الصناعية

عرف العالم مع بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر تغيرا وتطورا في الميدان الصناعي شمل وسائل الإنتاج المختلفة وسمي بالثورة الصناعية التي ظهرت ملامحها الأولى في أوروبا خاصة ثم امتدت إلى مناطق أخرى من العالم.

الفرع الأول: ماهية الثورة الصناعية

وهي التطورات الكبيرة التي عرفتتها الصناعة في أوروبا عامة وإنجلترا خاصة ابتداء من نصف القرن الثامن عشر والتي أدت إلى حدوث تحول كفي في فنون الإنتاج الصناعي حيث تم الانتقال من الصناعة اليدوية التي تعتمد على عمل الإنسان (أدوات عمل بسيطة) إلى الصناعة الآلية التي تدفعها قوة محرك أو ما يعرف باختصار (المكنة)، حيث عرفت أوروبا في هذه المرحلة موجة عارمة من الاختراعات والاكتشافات ساهمت في تطوير مختلف فروع الصناعة كصناعة الحديد وتعيين الفحم وصناعة المنسوجات، وبدورها ساهمت طاقة المحرك في حدوث زيادة هائلة في كل من الإنتاج وتكوين رأس المال، وأصبحت الصناعة على إثرها النشاط الرئيسي في الإقتصاد الوطني .

كانت البداية الأولى للثورة الصناعية إبان اختراع الآلة البخارية خلال ستينيات القرن الثامن عشر للميلاد، لتنتقل بعدها إلى باقي دول أوروبا وأمريكا الشمالية في القرن التاسع عشر، ومنها إلى كافة أرجاء العالم، ترتب عليها لاحقا اكتشاف الكهرباء وبناء السكك الحديدية والقطارات وسط تنافس الدول الأوروبية على التطور الصناعي، وكذلك كانت سببا في ثورة زراعية بفضل اقتناء المعدات الزراعية المتطورة واستخدامها في تسريع الأعمال الزراعية وزيادة إنتاجيتها، إضافة إلى أنها أدت للاستغناء عن نسبة كبيرة من الأيدي العاملة في الزراعة، بينما اتجهت فئة كبيرة من العمال إلى البحث عن مهن في المصانع عوضا عن الزراعة.¹

¹ - خبابة عبد الله، بوقرة راجح، الوقائع الاقتصادية: العولمة الإقتصادية-التنمية المستدامة، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009، ص: 35.

ومنه يمكن أن نستنتج المراحل التالية للثورة الصناعية:

- مراحل ما قبل الثورة:

- ظهور الورشات المنزلية: كانت الصناعة في معظم المجتمعات في العصور الوسطى عملاً ثانوياً لشغل أوقات الفراغ لقليل من الناس، وذلك لاعتماد جميع هذه المجتمعات وخاصة الأوروبية على الزراعة اعتماداً كلياً لانتشار نظام الإقطاع بأوروبا.
- الصناعة للاستغلال الذاتي: كان المزارع و أفراد أسرته يصنعون ما يمكنهم صناعته لحاجتهم الشخصية، ويبيعون ما يزيد عن حاجتهم لأهل القرية والقرى المجاورة.
- الصناعة من أجل التسويق: عندما استتب الأمن في أوروبا في أواخر العصور الوسطى وتحرر الفرد من قيود النظام الإقطاعي، استخدم بعض الناس أموالهم في شراء المواد الخام وسلموها إلى الزارع في منازلهم نظير أجر متفق عليه، ثم يأخذون المصنوعات ويبيعونها كما يشاءون ويعرف هؤلاء باسم الوسطاء، و قد أدى ذلك إلى ظهور بعض المصانع.
- ظهور المصانع: فكر بعض أولئك الوسطاء توفيراً للوقت والجهد في إقامة أماكن خاصة للصناعة يعمل بها عمال نظير أجور، وظهرت المنافسة بين هذه المصانع، فحاول كل مصنع أن يزيد مصنوعاته إتقاناً، وأن يخفض أثمانها لإغراء الجمهور، وكان ذلك من أسباب الاختراعات في الصناعة.

- مراحل أثناء الثورة:

- المرحلة الأولى 1770م - 1830م: في خلال هذه الفترة تقدمت صناعة القطن والتعدين واستخدام البخار في تسيير الآلات ثم كان أخيراً تطور وسائل النقل ومن بين الصناعات التي ظهرت :

- الغزل والنسيج: لقد حظيت صناعة الغزل في هذه الفترة بعناية كبيرة، بفضل سعي الكثيرين إلى تحسينها حيث قام نجار ماهر يدعى (هرفريز) سنة 1767م بصنع آلة الغزل فاستطاع الغزال الواحد أن يدير ثمانية مغازل بمفرده وصلت إلى 120 مغزلاً بعد التحسينات. ثم اخترع جهاز آخر سنة 1769م من طرف (أركريت) كان يُدار أولاً بقوة الخيل ثم بقوة الماء. واخترع (بل) آلة لطبع الرسوم على الأقمشة بطرق كيميائية فتنوعت أشكالها لتناسب مع الأذواق.¹

¹ - خبابة عبد الله، بوقرة رابح، مرجع سابق، ص: 36-37.

○ استخدام البخار: تمكن العالمان (نيوكومن) و(سافري) منذ 1698م من الكشف عن قوة البخار ثم استخدمها في الصناعة، ثم جاء العالم (جيمس وات) سنة 1760م وعمل على تحسين هذه المخترعات، وبدئ في استخدام البخار في صناعة القطن والصوف وغيرها إلى منسوجات، ونتيجة للمخترعات السابقة ارتقت صناعة التعدين وتمكن العالم (بسمر) سنة 1856م من الوصول لتحويل الحديد إلى صلب لاستخدامه في صنع الآلات التي تتطلب المقاومة زمنا طويلا آلة جيمس واط البخارية.

○ وسائل النقل: في ميدان وسائل النقل، جرى الاهتمام في البداية بشق الترع والقنوات المائية بطرق علمية وهندسية جديدة، ثم ظهرت صناعة السكك الحديدية والعربات وما يمكن ملاحظته ما يلي :

- استعمل البخار في تسيير الزوارق على يد المهندس الاسكتلندي (سيمنجتن) 1802م
- في عام 1806م أنشأ (روبرت فولتن) الأمريكي زورقا بخاريا من الخشب.
- وفي سنة 1823م كانت القوارب البخارية تسيير بأعداد كثيرة في أنهار إنجلترا ثم استطاعت عام 1828م أن تعبر المحيط الأطلسي.
- وفي 1830م استخدم البخار في المواصلات البرية عندما أنشأ (جورج ستيفنسن) أول خط حديدي بين ليفربول ومانشستر، وفي ميدان وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية، استطاع (مورس) أن يكتشف التلغراف، واكتشف (جراهام بل) الهاتف، واكتشف (هرتز) الموجات الجوية، و (ماركوني) الراديو اللاسلكي، وبذلك أصبحت الأخبار والخدمات التجارية تنتشر بسرعة وبأقل مجهود، وطويت المسافات الطويلة التي كانت تفصل البلدان والشعوب والقارات عن بعضها البعض.

- المرحلة الثانية 1830م - 1870م: في هذه المرحلة، أصبحت الصناعة تسيير قدما نحو الرقي على أسس وقواعد سلمية وبدأ عصر الإنتاج الكبير في الصناعة، بحيث تعدت هذه النهضة الصناعية حدود إنجلترا إلى بقية أنحاء أوروبا ثم إلى أمريكا، ووصلت صناعة النسيج من¹

¹ - خبابة عبد الله، بوقرة رابح، مرجع سابق، ص: 38-39.

قطن وصوف إلى درجة كبيرة من الإتقان، وأخذت الآلات* تحل محل الأيدي العاملة في مختلف المجالات اليدوية الأخرى، كصناعة الأحذية والطحين والغسيل... الخ.

الفرع الثاني: العوامل المساعدة على قيام الثورة الصناعية

لقيام الثورة الصناعية اجتمعت عدة عوامل وأسباب دفعت بها إلى النهوض كما كانت سبب في النجاح والإستمرارية، نذكر أهمها فيما يلي:

- العامل الاجتماعي يتمثل في التزايد الديموغرافي (السكاني): شهد معدل نمو السكان بأوروبا ارتفاعا كبيرا وملحوظا منذ القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر مما غطى احتياجات مختلف المصانع لليد العاملة وزيادة الإنتاج، وكذا ظهور البحث العلمي والاختراعات التي ساهمت في زيادة الإنتاج وتحسينه، من دون أن ننسى زيادة الطلب على المنتجات وتوزيعها مما شجع على التقدم الصناعي.
- وفي التكنولوجيا ظهر التطور العلمي: ساعد التطور العلمي والاكتشافات العلمية إلى اختراع الآلات المتعددة التي أدت بدورها إلى زيادة الإنتاج ورفع الإقتصاد الوطني.
- والعوامل السياسية نجد سياسة الحرية الإقتصادية: في الفترة الممهدة لقيام الثورة الصناعية بدأت الأفكار الفلسفية و الاقتصادية تتجه نحو رفع شعارات حرية العمل، حرية الإنتاج وحرية الاستهلاك، وكان رائد هذا الفكر آدم سميث وريكاردو وخاصة في بريطانيا مما جعلها تترك الحرية والباب مفتوحا للأفراد للدخول في ميادين الإنتاج المختلفة على عكس ما نادى به أصحاب المدرسة التجارية، كذلك اتبعت الحكومات سياسة تخفيض الضرائب على رؤوس الأموال الموظفة في الصناعة.¹
- أما العامل الاقتصادي يتمثل في: اتساع التجارة الأوروبية الداخلية والخارجية وقد أدى ذلك إلى عدة كشوفات جغرافية وتوسع السوق العالمي، والتقدم في وسائل النقل البري، البحري وتراكم رؤوس الأموال في يد التجار والصناع الأوروبيين.²

¹ - خباياة عبد الله، بوقرة رابح، مرجع سابق، ص: 36-37.

² - بن قانة اسماعيل، الوجيز في تاريخ الوقائع الإقتصادية، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2017، ص: 27.

- توافر رؤوس الأموال: أدى إلى تمويل المخترعات والأبحاث والاستمرار في توسيع المشروعات الصناعية والسلع الإنتاجية، وقد لجأت بعض الحكومات الأوروبية التي لا تتوافر لها رؤوس أموال كبيرة في إتباع سياسات مختلفة لتوفير رؤوس الأموال اللازمة للصناعة منها :
 - إقراض بعض الصناعات والاشتراك في البعض الآخر.
 - إعادة تقييم العملة بفرض زيادة عرض النقود وحل مشكلة ندرة رأس المال.
 - زيادة الادخار الإجباري.
- قيام الشركات المساهمة التي استطاعت أن تجمع المدخرات وتوجيهها للصناعة في شكل قروض.¹

المطلب الثاني: مظاهر ونتائج الثورة الصناعية

بعد كل التطورات التي ظهرت في جميع المجالات وقيام الثورة الصناعية انجر من ورائها نتائج كما تميزت ببعض المظاهر التي سنعرضها في هذا المطلب من خلال فرعين، الأول متعلق بمظاهر الثورة الصناعية والثاني بنتائج الثورة الصناعية.

الفرع الأول: مظاهر الثورة الصناعية

تجلت مظاهر الثورة الصناعية في عدة أشكال نذكر منها:

- ظهور نظام المصانع: بقيام المخترعات واستخدام الآلات بشكل واسع، ظهر نظام المصانع الذي أدى إلى تغيير كبير في الصناعة خلال المرحلة الأخيرة من القرن الثامن عشر، فبعد أن كانت الصناعة مبعثرة في مناطق متعددة بدأ التحول في تمركز الصناعة في مناطق معينة، كما أن عدد العمال زاد في نظام المصانع إذ تشير بعض الإحصائيات الأولية عام 1830م أنه كان عدد العمال يبلغ 175 في أحد المصانع، و93 في مصنع الحرير بينما كان عددهم يتراوح بين 1500 و2000 في مصانع الحديد.

أدى هذا الوضع الجديد إلى زيادة نفوذ أصحاب الأموال للسيطرة على معظم عوامل الإنتاج كما أدى هذا التحول إلى خلق طبقة جديدة وهي طبقة المديرية، مما دعا إلى توسيع شركات المساهمة.²

¹ - بن قانة اسماعيل، مرجع سابق، ص: 27-28.

² - أحمد فريد مصطفى، سهير محمد السيد حسن، تطور الفكر والوقائع الإقتصادية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2000، ص: 85.

- تركز السكان في المدن: خلق نظام المصانع وتركز الصناعة في مناطق معينة وخاصة في مناطق استخراج المواد الأولية، أدى إلى تركز السكان في المدن التي تقام بها الصناعة، فكان سكان المدن في بريطانيا في القرن التاسع عشر يمثلون 75% من إجمالي السكان، أما في ألمانيا فبلغ حوالي 66% بينما في فرنسا لم يصل 50%.
 - نمو التجارة الخارجية: المنافسة الكبيرة التي قامت بين الدول الأوروبية على السيطرة على السوق الخارجية أدت إلى التوسع الإستعماري وبالتالي الإحتكارات التجارية وكانت الدولة ذات قوة بحرية هي المسيطرة، حيث استطاعت بريطانيا بفضل قوتها البحرية أن تسيطر على أهم الأسواق الدولية، وبسبب التوسع التجاري الأوروبي دعت الضرورة إلى تخصص في مجال الصناعة وبالتالي كبر حجم المشروعات.
 - كبر حجم المشروعات: بعد توصل طبقة المديرين لإدارة المشروعات بدأت المشاريع في توسع أكبر وذلك من جهة البحث عن الإنتاج بأقل تكلفة وزيادة الأرباح، ومن جهة أخرى وضع حد لأصحاب الأعمال الصغيرة أي احتكار الصناعة في يد فئات قليلة.
 - كبر المشروعات أدى إلى الاحتكارات نظرا لتركز الصناعة في يد فئات قليلة، هذا ما ساعد الشركات الكبرى بعقد اتفاقيات تنص على تنظيم عمليات البيع وتحدد الإنتاج والأسعار وتوزع الأسواق فيما بينها، وخاصة في ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية .
 - قامت في ألمانيا نقابات إنتاجية عرفت باسم Cartel كان غرضها منع المنافسة بين المنتجين عن طريق عقد اتفاقيات خاصة بتحديد الأثمان وتنظيم الإنتاج وتوزيع السوق فيما بينها .
- أما في الولايات المتحدة اتخذت النقابات الإنتاجية شكل Trust إذ اندمجت الشركات التي أرادت الإنضمام إلى هذا النظام تحت إدارة موحدة تقوم برسم سياسات الإنتاج والتمن وتوزيع السوق، بذلك تختص شخصية الشركة في Trust وتزول المنافسة فيما بينها، وبهذا يخلو لها الجو في السيطرة الكاملة على السوق، لكن هذا النظام تم إبطاله من طرف الحكومة الأمريكية بقانون "شارمان" 1890، وبقانون "كلايتون" 1914م.¹

¹ - أحمد فريد مصطفى، سهير محمد السيد حسن، مرجع سابق، ص 86-88.

- مظاهر صناعية: انعكست مظاهر الثورة الصناعية في مجالات مختلفة منها:
 - تحسين صناعات الغزل والنسيج.
 - التوسع في الصناعات القطنية أدى إلى زيادة إنتاجها، ودقة صنعها، ورخص أسعارها.
 - أقيمت المصانع بجانب المياه لاستغلال قوتها المتدفقة، وقد قضى هذا تدريجياً على الصناعات المنزلية.
- اختراع الآلة البخارية اخترعت الآلة البخارية على يد جيمس وات عام 1772م، وأصبحت تستخدم في تشغيل آلات الغزل والنسيج والقاطرات، ثم كانت المحاولة التالية لاستخدام البخار في النقل عام 1787م.
- استخراج الفحم والحديد وتطور صناعات التعدين استخدم الفحم والحديد منذ سنوات طويلة، وكانت وسائل استخراجها بدائية حتى اختراع الآلة البخارية، إذ صار بالإمكان استخراج الفحم من الطبقات العميقة في الأرض، وقد ازداد استخراج الحديد فانتشرت مصانع الصلب والحديد.¹

الفرع الثاني: نتائج الثورة الصناعية

ومن أهم هذه النتائج نذكر ما يلي:

- نتائج إقتصادية:
 - زيادة الثروة القومية: نتيجة للثورة أصبحت دول أوروبا الصناعية تتمتع بمقدرة إنتاجية عالية، فازدادت الأرباح وتضاعفت الدخول، كما حققت الدول زيادة كبيرة في إيراداتها من الضرائب وغيرها، إذ أصبحت ميزانيتها ذات أهمية كبيرة للتأثير على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.
 - زيادة وحدة العالم: قيام التكتلات والتكامل والاندماج الإقتصادي مثل الاتحادات الدولية وعلى رأسها المجموعة الأوروبية المشتركة في الوقت الحالي.²
 - ارتفاع مستوى المعيشة: توفرت فرص العمل للعمال في عدد من المناطق الخاصة في الولايات المتحدة، إذ كانت الأجور مرتفعة، أما في أوروبا فكان معدل الأجور ضعيف جداً وخاصة في بريطانيا نظراً لرجال الأعمال الذين كانوا يسعون لتحقيق أرباح عالية.

¹ - أحمد فريد مصطفى، سهير محمد السيد حسن، مرجع سابق، ص: 88.

² - محمد إبراهيم أبو شادي، النظم الإقتصادية، دار النهضة العربية، مصر، 2010، ص: 11.

- نشوء الخلاف بين العمال وأصحاب العمل: نضام المصانع أدى إلى تجمع العمال في حرفة واحدة ونظرا لتوسع المصانع أصبح العمال يشكلون قوة عمل هامة، لذلك بدؤوا بالمطالبة بزيادة أجورهم وتحسين شروط العمل، مما دعا إلى تكوين النقابات العمالية .
- زيادة أهمية دور رؤوس الأموال: أدت الثورة الصناعية إلى فتح مجال واسع أمام أصحاب رؤوس الأموال أن يسيطروا على المجال السياسي وعلى الأوضاع الاقتصادية عامة، سواء محلية أو خارجية .
- نمو التجارة الخارجية: وتعتبر سبب و مظهر و نتيجة للثورة الصناعية ، فقد ازدهرت تجارة اربوا الخارجية نتيجة لازدهار صناعتها ، و حدث أن أصبحت السمة الغالبة عليها أنها تصدر مواد و منتجات صناعية و تستورد مواد أولية لازمة لصناعتها .
- ظهور نظام المصانع وزيادة حجم الإنتاج، واتساع نشاط التجارة الخارجية.
- تطوير الزراعة وزيادة حجم الإنتاج، لأن الصناعة وفرت الآلات، والمبيدات، والأسمدة.
- تحسين وسائل المواصلات العالمية، وتنوعها، وسرعتها.
- **نتائج اجتماعية:**
- زيادة أعداد السكان في المدن الصناعية نتيجة لهجرة العمال الزراعيين من الريف إلى المدن الصناعية، وقلة عدد الوفيات بسبب انتشار العلاجات، والأدوية.
- ظهور طبقات جديدة في المجتمعات الصناعية، هما: طبقة العمال، والطبقة الرأسمالية. انتشار التعليم بصورة واسعة.
- **النتائج السياسية والثقافية:**
- تطبيق المبادئ الدستورية التي منحت للعمال والنساء حق الانتخاب.
- برزت أحزاب سياسية تدافع عن مصالح العمال وتشارك في الحياة السياسية.¹
- احتدام التنافس بين الدول الصناعية للسيطرة على مصادر المواد الخام والأسواق الخارجية مما أنتج تقاوم الاستعمار وانقسام العالم إلى جزأين جزء مهيمن تمثله البلدان الصناعية وجزء مستغل تمثله بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

وكان هالك أثر للثورة الصناعية على العالم :

¹ - محمد إبراهيم أبو شادي، مرجع سابق، ص: 12-13.

- لم تقتصر الثورة الصناعية على أوروبا بل تعدتها إلى دول أخرى من العالم كالولايات المتحدة الأمريكية التي استفادت من المنجزات الأوروبية لتطوير اقتصادها واستغلال مواردها حتى تمكنت من السيطرة على القارة الأمريكية بعد أن تقلص الدور الأوروبي فيها.
- واستوعبت اليابان من جانبها منجزات الغرب العلمية محققة بذلك ثورتها الصناعية.
- وقد تأثرت الدول العربية إلى حد ما بمنجزات الثورة الصناعية وقام بعض من حكامها بإنشاء المصانع واستقدام الخبراء من دول أوروبا لتنمية الصناعة فيها. كما قاموا بإرسال الطلبة المتفوقين إلى تلك الدول للاطلاع على مدى تقدمها الصناعي والعلمي والاستفادة من خبراتها الجديدة. كان معظم الأوروبيين يعملون بالزراعة قبل الثورة الصناعية. ولكن بعد ظهور المصانع تحولت المدن بسرعة فائقة إلى مدن صناعية. وبدأ سكان الريف في التدفق نحو المدن للعمل في المصانع. فأحدث ذلك النمو الصناعي تحولات اجتماعية هائلة كما بدأت الطبقة الوسطى من وجهاء رجال الأعمال والصناعيين في النمو السريع. فلقد استأثر هؤلاء بامتلاك معظم المصانع، وتوظيف العمال، وإدارة البنوك والمناجم والأسواق، والسكك الحديدية والمؤسسات التجارية.
- أصبحت وسائل الإنتاج الحديث في الوقت نفسه تمثل تهديدا لأصحاب المهن والحرف اليدوية الماهرة وخرجت المرأة والأطفال للعمل خارج المنزل، كما تدفق العمال غير المهرة إلى المدن الصناعية. فاكتملت المدن بالعمال الذين كانوا يتقاضون أجورا متدنية ويعيشون في أوضاع سيئة وفقير مدقع.¹

¹ - محمد إبراهيم أبو شادي، مرجع سابق، ص: 15-16.

ظهر الفيلسوف الاشتراكي الألماني كارل ماركس صاحب نظرية الشيوعية خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وكان يحرض العمال على الثورة للانقضاء على الرأسمالية، وإقامة أنظمة اقتصادية تديرها الدولة، ومجتمعات تذوب فيها الطبقات الاجتماعية، كما أنه كان يؤمن بحتمية قيام الثورة الاشتراكية كنتيجة طبيعية للثورة الصناعية. لكن لم تحدث الثورة كما تكهن بها ماركس.

- نجح العمال في كثير من الدول في اكتساب الحق في تكوين النقابات العمالية خلال القرن التاسع عشر الميلادي. فبدأت بريطانيا ودول أخرى بإقرار قوانين تنظيم العمل والعمال في المصانع. وكان لبريطانيا وألمانيا الدور الرائد في وضع تطبيق تشريع الضمان الاجتماعي الذي يضمن للعمال التأمين ضد الحوادث والمرض والبطالة. وبنهاية القرن التاسع عشر الميلادي كوّنت النقابات ووضعت قوانين تنظيم العمل والعمال في معظم الدول الصناعية.¹

نستنتج مما سبق أن الثورة الصناعية التي قامت في أوروبا في النصف الثاني من القرن 18م وبداية القرن 19م، ساهمت كثيرا في التغيرات التي حدثت في أوروبا خاصة والعالم بشكل عام، حيث مست مختلف الميادين الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والسياسية، وكان لها دور كبير في دفع عجلة التطور، لكن استغلت من طرف الأوربيين الرأسماليين (الرأسمالية المطلقة) الذين مكنتهم من التفوق ماديا فوظفوا نتائجها في تحقيق أطماعهم الاستعمارية على حساب الشعوب الضعيفة في إفريقيا و آسيا كانت إنجلترا أسبق دول العالم في الثورة الصناعية، فقد ظهرت فيها تلك الثورة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في حين أنها لم تظهر في فرنسا إلا في القرن التاسع عشر، وفي ألمانيا في الربع الثاني منه، وفي بقية الدول بعد ذلك، ولقد أصبح لهذه الثورة مظاهر عدة منها اختراع الآلات لتساعد المجهود الإنساني أو تحل محله في صنع المنسوجات وغيرها من السلع وكذلك نمو القوة المحركة والتوسع في حركة النقل حدوث الهجرة من الحقول الى المصانع ومن الريف الى المدينة واستخدام الآلات الميكانيكية في الزراعة كاستخدامها في الصناعة والتجارة.

أسئلة الفصل الثالث:

- حدد أثر الحالة الاجتماعية للمزارعين التي أدت إلى الثورة الصناعية؟
- ما مدى تغير حالة المجتمع نتيجة للثورة الصناعية؟

¹ - محمد إبراهيم أبو شادي، مرجع سابق، ص: 16.

الفصل الرابع: الأنظمة الإقتصادية المعاصرة

يعتبر النظام الإقتصادي نظام ذو فلسفة اجتماعية وسياسية وقد عرف الإنسان منذ وجوده عدة أنظمة اقتصادية، وتطورت مع مرور الزمن أبرزها النظام الإقطاعي، النظام الإسلامي، النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي الذي يعد النظام المسيطر في وقتنا الحالي، فلكل نظام اقتصادي مجموعة من المقومات و المبادئ التي تجعله يتميز عن غيره من الأنظمة الإقتصادية، فكما هو معروف أن أي علم من العلوم أو أي حضارة من الحضارات تمر بأحداث منقطعة خلال فترات زمنية، حيث نجد أن تطور النظام الإقتصادي الرأسمالي كان نتيجة لتطور الأحداث الإقتصادية التي تعتبر أساس التقدم العام للبشرية ومحور كل تفسير للوضع التاريخية لهذه المجتمعات، وعليه بزوغ تفكير جديد ومتفتح كان رائد للتطور البشري، حيث تعتبر الفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر أساسية لوضع أسس النهضة البشرية التي نعرفها اليوم والذي يعتبر إطارا تاريخيا لتقدم اقتصادي رأسمالي لم تعرفه الإنسانية قط في مجموع القرون الأخرى وبزوغ عدة أنظمة إقتصادية نتيجة له.

المبحث الأول: النظام الإقتصادي الرأسمالي

أدى هذا إلى تطورات اقتصادية أدت هي الأخرى إلى ظهور أنظمة إقتصادية جديدة فبعد أن كان الإقتصاد مغلقا أو محدودا في إطار عائلي أو قبلي أو خاضعا لعلاقات إقطاعية، أصبح اقتصادا متفتحا تقوده المصالح الفردية في إطار النظام الإقتصادي الرأسمالي وهذا الأخير هو عنوان المبحث الذي سننتظر فيه الى مفهوم هذا النظام والتعريف بأهم مقوماته ومبادئه وإلى إيجابياته والانتقادات المقدمة له.

المطلب الأول: ماهية الرأسمالية

بدأت أوروبا الغربية في القرن الخامس عشر تدخل مرحلة جديدة من مراحل التاريخ وهي العصر الحديث، منادية بحرية أكثر داخل المجتمع وللاستقلال عن النمط الإقطاعي، فنمى فيها كل من النظام الحرفي والتجارة في بدايته، وما لبثت أن طغت التجارة على مظاهر النشاط الإقتصادي في أوروبا الغربية نتيجة للكثير من العوامل، ليتطور الوضع بعد ذلك إلى ولادة نظام اقتصادي جديد يطلق عليه النظام الرأسمالي يركز على الحرية و سيادة الأسواق، و قد كان لهذا أثر كبير في تطور العالم.

الفرع الأول: مفهوم الرأسمالية

ترجع نشأة الرأسمالية الى أوروبا والتي كانت محكومة بنظام الإمبراطورية الرومانية التي ورثها النظام الإقطاعي وما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ظهرت الطبقة البورجوازية كمرحلة تالية لفترة نظام الإقطاع ثم تلت المرحلة البورجوازية مرحلة الرأسمالية وذلك منذ بداية القرن السادس عشر ولكن بشكل متدرج حيث ظهر وقتها الدعوة إلى الحرية وكذلك الدعوة إلى إنشاء القوميات اللادينية والدعوة إلى تقليص ظل البابا الروحي.

تبلور هذا النظام من خلال كتابات عدة مؤلفين ودعاة له، من أشهرهم:

- فرانسوا كيزني (1694م-1778م): ولد في فرساي بفرنسا، وعمل طبيباً في بلاط لويس الخامس عشر لكنه اهتم بالاقتصاد وأسس المذهب الطبيعي، نشر في سنة 1756 مقالين عن الفلاحين وعن الجنوب ثم أصدر في سنة 1758 الجدول الإقتصادي، و شبه فيه تداول المال داخل الجماعة بالدورة الدموية، قال ميرابو حينذاك عن هذا الجدول بأنه يوجد في العالم ثلاثة اختراعات عظيمة هي الكتابة، النقود و الجدول الإقتصادي.
- جون لوك (1632م-1704م): صاغ النظرية الطبيعية الحرة حيث يقول عن الملكية الفردية: "هذه الملكية حق من حقوق الطبيعة وغريزة تنشأ مع نشأة الإنسان فليس لأحد أن يعارض هذه الغريزة".
- آدم سميث (1723م-1790م): وهو أشهر الكلاسيكيين على الإطلاق، ولد في مدينة كيركالدي في اسكتلندا ودرس الفلسفة، وكان أستاذاً لعلم المنطق في جامعة جلاسجو، سافر إلى فرنسا سنة (1766م) والتقى هناك أصحاب المذهب الحر، وفي سنة (1776م) أصدر كتابه "بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم"، هذا الكتاب الذي قال عنه أحد النقاد وهو (أدمون برك): "إنه أعظم مؤلف خطه قلم إنسان"¹

¹ - مختار عبد الحكيم طلبة، مقدمة في المشكلة الاقتصادية، النشر كلية الحقوق جامعة القاهرة، مصر، 2007، ص: 21-22.

- دافيد ريكاردو (1772م-1823م): قام بشرح قوانين توزيع الدخل في الإقتصاد الرأسمالي، وله النظرية المعروفة باسم "قانون تناقص الغلة" ويقال عنه إنه كان ذا اتجاه فلسفي ممتزج بالدوافع الأخلاقية لقوله: "إن أي عمل يعتبر منافياً للأخلاق ما لم يصدر عن شعور بالمحبة للآخرين".
 - روبرت مالتوس (1766م-1783م): اقتصادي إنجليزي كلاسيكي متشائم صاحب النظرية المشهورة عن السكان، إذ يعتبر أن عدد السكان يزيد وفق متوالية هندسية بينما يزيد الإنتاج الزراعي وفق متوالية حسابية كما سيؤدي حتما إلى نقص الغذاء والسكن .
 - جون ستيوارت ميل (1806م-1873م): يعد حلقة اتصال بين المذهب الفردي والمذهب الاشتراكي فقد نشر سنة (1836م) كتابه "مبادئ الإقتصاد السياسي".
 - اللورد كينز (1883م-1946م): صاحب النظرية التي عرفت باسمه والتي تدور حول البطالة والتشغيل والتي تجاوزت غيرها من النظريات إذ يرجع إليه الفضل في تحقيق التشغيل الكامل للقوة العاملة في المجتمع الرأسمالي، وقد ذكر نظريته هذه ضمن كتابه "النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود" الذي نشره سنة 1936 م .
 - دافيد هيوم (1711م-1776م): صاحب نظرية النفعية التي وضعها بشكل متكامل والتي تقول بأن "الملكية الخاصة تقليد اتبعه الناس وينبغي عليهم أن يتبعوه لأن في ذلك منفعتهم".¹
- وبالتالي يمكن تعريف الرأسمالية على أنها نظام إقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية تقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعا في مفهوم الحرية، تزداد أهمية مفهوم الملكية الفردية في الموارد النادرة حيث يفتح السوق المنافسة المصرفية بين الأفراد لاستغلالها بكفاءة.
- بما أن الرأسمالية تعزز الملكية الفردية، فإنها تقلص الملكية العامة، ويوصف دور الحكومة فيه على أنه دور رقابي فقط، كما يرى البعض الرأسمالية على أنه مصطلح اقتصادي متخصص لا يهم سوى أصحابه من ذوى الخبرات الإقتصادية أو المنفعيين منه كنظام اقتصادي لإدارة حركة رأس المال واقتصاديات الدول، كما اعتمد الكثير من دول العالم على النظام الرأسمالي باعتباره أحد أدوات الإقتصاد الحديث وبحث البعض الآخر من الدول عن نظام جديد خاصة بعد فشل نظام الاشتراكية.²

¹ - مختار عبد الحكيم طلبية، مرجع سابق، ص: 22.

² - أشرف محمد دوابه، النظام الإقتصادي: مدخل ومنهاج، دار السلام، مصر، 2010، ص: 35.

وفي معجم المعاني "العربي" يأتي معنى كلمة رأسمالية كاسم منسوب لـ"رأس المال"، واقتصاديا هو نظام اقتصادي تكون فيه رؤوس الأموال مملوكة لأصحاب الأموال الموظفة، وغير مملوكة للعمال. وفي قاموس المعجم الوسيط تعني كلمة رأسمالية نظام اقتصادي تكون فيه ملكية وسائل الإنتاج كالأرض والمصانع، ملكية خاصة تستعمل من أجل الربح وعادة ما تكون حكرا على عدد قليل من الناس.

ونستنتج في الأخير أن النظام الإقتصادي الرأسمالي هو ذلك النظام الذي يقوم على الملكية الفردية لعناصر الإنتاج و الحرية الإقتصادية في الإدارة، التسيير والنشاط الإقتصادي.

مرت الرأسمالية على عدة مراحل مما جعل لها عدة أشكال نذكرها فيما يلي:

الرأسمالية التجارية: ظهرت في القرن السادس عشر إثر إزالة مرحلة الإقطاع، حيث أخذ التجار وقتها القيام بنقل المنتجات من مكان لآخر حسب طلب السوق فكان بذلك وسيطاً بين المنتج والمستهلك، توجد مجموعة من العوامل ساهمت بشكل واضح في ظهور الرأسمالية التجارية في أوروبا الغربية ونوضحها كما يلي:

-الإكتشافات الجغرافية؛

-الثورة النقدية؛

-ظهور الدول القومية؛

-الإصلاح الديني وحركة النهضة؛

-تراكم الأموال في يد التجار الكبار (البنكيين)؛

-وانتشار الأفكار الإقتصادية.

- الرأسمالية الصناعية: ساعد على ظهورها تقدم الصناعة وظهور الآلة البخارية التي اخترعها جيمس وات سنة 1770م والمغزل الآلي سنة 1785م، مما أدى إلى قيام الثورة الصناعية في إنجلترا خاصة وفي أوروبا عامة، خلال القرن التاسع عشر، حيث يقوم هذا الشكل من الرأسمالية على أساس الفصل بين رأس المال وبين العامل، أي بين الإنسان وبين الآلة.¹

¹ - أشرف محمد دوابه، مرجع سابق، ص: 36.

- الرأسمالية التنافسية: وتعتمد على علاقات التنافس بين المنتجين، حيث يأتي التنافس غالبا من خلال تخفيض الأسعار، ورفع ساعات العمل وتخفيض الأجور، ولكن استمرار التنافس يولد شركات كبرى احتكارية تقضى على العهد التنافسي.
- الرأسمالية المالية (أواخر القرن 19): تميزت مرحلة الرأسمالية المالية بتطور وظيفة البنوك نحو الميدان الإستثماري و ظهور أشكال جديدة من الشركات، إضافة الى تزايد تأثير البورصات في الإقتصاد وظهور التركيز المالي مما جعل البنوك تتحكم في النظام الرأسمالي، وعلى غرار ذلك ظهرت بنوك جديدة لم تقتصر وظيفتها على منح القروض للتجار وأرباب الصناعة فقط، بل أصبحت توظف جزءا من رأسمالها في النشاط الصناعي فتحولت إلى مؤسسة بنكية رأسمالية صناعية، وبذلك أصبحت الصناعة خاضعة لهيمنة البنوك.¹

الفرع الثاني: مبادئ ومقومات الرأسمالية

على مدار التاريخ وبعد ظهور العملات وانتشار التعامل التجاري والتملك وعمليات الشراء والبيع وعمل صفقات وما إلى ذلك من أساليب التداول المالي والتجاري، ظهرت بعض المبادئ والأنظمة الإقتصادية التي تتصف برؤى معينة خاصة بها للتعامل الإقتصادي، وتلك الرؤى بدأت تنتشر حتى سيطرت على الدول بالكامل، وأصبح لكل دولة نظامها الإقتصادي الذي يديرها، ومن تلك الأنظمة ما يسمى بالرأسمالية.

كما ذكرنا في تعريف الرأسمالية أنه يشجع حرية تملك الفرد وأن يكون دور الحكومة رقابي، فإن مبادئ هذا النظام تدعم فكرة هذا التعريف كما يلي:

- يتيح هذا النظام حرية البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب المشروعة، ويمكن فقط منع الفرد من حرية ذلك في حال كان ما يريد الاتجار فيه تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات مثلا.
- النظام الرأسمالي يقوم على تقديس الملكية الفردية، ونجد ذلك في إتاحتها الفرصة وفتح الطريق أمام المواطن لأن يستغل قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها، كما أن النظام كذلك يضمن توافر القوانين اللازمة لنموها وعدم تدخل الدولة في الحياة الإقتصادية للفرد، إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.

¹ - أشرف محمد دوابه، مرجع سابق، ص: 37.

- يتيح هذا النظام عملية التنافس في الأسواق وأن يجتهد كل مصنع أو كل شركة فيعرض منتجه بالطريقة والمواصفات والجودة التي يراها، بشرط ألا تختلف مع القانون.
- يتيح نظام الرأسمالية حرية تداول الأسعار ارتفاعا وانخفاضا وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب، ويتاح لكل مؤسسة أن تعتمد على قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها، ولكن الدول في سبيل ذلك وضعت مراكز خاصة بالرقابة على الأسعار حتى لا يستغل التجار تلك الحرية ويتفوقون فيما بينهم على رفع أسعار المنتجات بشكل مبالغ فيه¹.

وهناك العديد من خصائص النظام الرأسمالي والذي ساد في الدول التي سعت إلى تعظيم الربح الفردي، ومن أهم خصائص النظام الرأسمالي ما يأتي:

- الملكية الفردية: وهو من خصائص الرأسمالي حيث يملك الفرد عناصر الإنتاج، وله كامل الحرية في التصرف في ممتلكاته الخاصة، سواء كان ذلك من خلال عمليات البيع أو التأجير أم إعادة الاستغلال بأسلوب جديد، كالتحول من النشاط الصناعي إلى الزراعي، أم من الزراعي إلى التجاري، كما يملك حق التصرف في العائد التي ينتج من عمليات التملك والاستثمار بما يراه مناسباً وفق أحكام القانون.
- تعظيم الأرباح الفردية: من خصائص النظام الرأسمالي أنه يعتبر الهامش الربحي هو الدافع الأول للإنتاج، بحيث ترتبط الزيادة في كمية الإنتاج بزيادة الهامش الربحي، وهذا ما يجعل الأفراد في هذا النظام يتصرفون بالبحث عن المصلحة الشخصية من خلال زيادة هامش الربح الفردي الذي يناسبهم ويتسبب لهم في تحقيق أكبر عائد ممكن.
- الإهتمام برغبات المستهلكين: يبحث النظام الرأسمالي عن زيادة الهامش الربحي من خلال زيادة الإنتاجية التي ترتبط بما يناسب المستهلك، وهذا الأمر يجعله يتلمس الحاجات الاستهلاكية ليزيد من إنتاجية ما يناسبهم من سلع، بحيث تتغير هذه الإنتاجية مع تغير العرض والطلب على سلع دون غيرها.²

¹ - أشرف محمد دوابه، مرجع سابق، ص: 37.

² - هشام متولي، الرأسمالية والإشتركية والتعايش السلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1990، ص: 382.

- زيادة التنافسية: إن وجود العديد من المستثمرين الذي يبحثون عن تعظيم الأرباح في العديد من القطاعات الإنتاجية يجعل السوق تنافسيا بشكل كبير، وتعد التنافسية من أهم خصائص النظام الرأسمالي بالنسبة للمستهلكين، حيث تنعكس بشكل إيجابي عليهم من ناحية انخفاض الأسعار بسبب بحث المنتجين عنهم عن طريق جذبهم بتخفيض الأسعار بمقارنة بالمنافسين الآخرين.¹

المطلب الثاني: إيجابيات وسلبيات النظام الرأسمالي

اهتم علماء إقتصاد كثر بدراسة النظام الإقتصادي الرأسمالي، فظهر منهم من دافع عنه وبرره بل أكد أنه السبيل الوحيد لترويج الإقتصاد وخلق الثروة. ومنهم من انتقده وأظهر عيوبه وتنبأ بانهياره الحتمي.

الفرع الأول: إيجابيات النظام الرأسمالي

أكدت الدراسات المؤيدة لفكرة التوجه والإعتماد على "الرأسمالية" أن نجاح هذا النظام يحتاج لتوجيهه نحو المسار الصحيح، وذلك من خلال السياسات الحكومية وجهود الجمهور العام لضمان استمرار عمل النظام الرأسمالي في صالح المجتمع ومنه نذكر إيجابيات النظام الرأسمالية أهمها :

المنافسة الحرة تؤدي إلى جودة الإنتاج والابتكار.

- تطوير القدرات العلمية يدفع بعجلة التطور والتقدم.
- تشجيع روح المبادرة.
- ارتفاع الدخل القومي.
- المساهمة في النمو الإقتصادي.
- تعطي الفرد إمكانية استغلال ثرواته ومشاركته في الأنشطة الإقتصادية عن طريق الخصخصة.

الفرع الثاني: سلبيات النظام الرأسمالي

تميز هذا النظام بدراسة شاملة من علماء اقتصاد ونقاد أظهروا عيوبه ومساوئه نذكر منها كالتالي:

- ظهور الطبقة واستغلال العمال بسبب مبدأ الأسعار الحرة التي يعتمد عليه النظام.²
- تركيز الثروة في أيدي قليلة من المجتمع.

¹ - هشام متولي، مرجع سابق، ص: 383.

² - Cenereux j, les politiques économiques, seuil memo, 1996, p : 110-111.

- الإهتمام بالماديات على حساب أشياء أخرى.
- حدوث أزمات اقتصادية حادة وتزايد حجم البطالة.
- تقييد الحكومات والسياسات أمام الكيانات الإقتصادية الرأسمالية الضخمة والتأثير على القرار السياسي والتحكم فيه مما يؤدي إلى انحياز السياسة لطبقة بعينها، وهو ما ينتج عنه ضعف الخدمات العامة وخصوصا فى الدول النامية.¹

بسبب ضغوط ومتطلبات النظام الرأسمالي على الطبقة العاملة، وتتركز الثروة بيد قلة من أفراد المجتمع، انتشرت فكرة تشارك عوامل الإنتاج والمساواة بين أفراد المجتمع فثار العمال في العديد من الدول مطالبين بتطبيق مبادئ الفكر الاشتراكي.

المبحث الثاني: النظام الاشتراكي

تستمد الاشتراكية أسسها الفكرية من "كارل ماركس" و"فريدريك انجلز"، فبعد أن شاهدا معاناة الطبقات الضعيفة في المجتمع الرأسمالي قاما بانتقاد وتقديم أفكار بديلة للرأسمالية، سميت بالاشتراكية سنتطرق إليها في هذا المبحث.

المطلب الأول: ماهية الاشتراكية

بدأ المفكرين الإقتصاديين يطالبون بتدخل الدولة من أجل حماية المسار الإقتصادي ورعاية الطبقة العاملة، خصوصا مع تجلي التناقض الموجود بين مصالح الطبقة العاملة ومصالح الرأسماليين من جهة، والتناقض بين المصالح الخاصة والمصلحة العامة من جهة أخرى.

الفرع الأول: مفهوم الاشتراكية

هي نظام إقتصادي يمتاز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والإدارة التعاونية للإقتصاد، أو هي فلسفة سياسية تدافع عن هذا النظام الإقتصادي كحركة سياسية، تشمل الاشتراكية على مصفوفة مختلفة من الفلسفات السياسية، تتراوح ما بين الاشتراكية الإصلاحية إلى الاشتراكية الثورية .

¹ - Cenereux j, op-cit, p:111.

ينسب مصطلح اشتراكية لبير ليرو ولماري ريباود وفي بريطانيا لروبرت أوين لعام 1827، رائد الحركة التعاونية، النماذج والأفكار الاشتراكية التي تؤيد إلى الشيوع أو الملكية العامة موجودة منذ عصور قديمة.

أقر مزدك الشيعي الفارسي المناصر للاشتراكية بشيوع الملكية ودافع عن الصالح العام، وقد صرح على الرغم من الجدل القائم في هذا الموضوع بوجود عناصر فكرية اشتراكية في سياسة الفلاسفة الإغريق القدماء أفلاطون وأرسطو .

مصطلح (اشتراكية) صاغه هنري دي سان سيمون، مؤسس الاشتراكية الطوباوية، واستخدم مصطلح اشتراكية لتناقض المذهب الليبرالي للفردية، أدان الاشتراكيون الأصوليون الفردية التحررية لأنها فشلت في الاهتمام بمشاكل الفقر في المجتمع والقهر الاجتماعي وتضخم اللامساواة في الثروة. ينظرون للمجتمع الفردي التحرري على أنه مجتمع غير منتج يدعم الأنانية وأنه يضر بحياة المجتمع من خلال اقتراح مجتمع تنافسي، وقدموا الاشتراكية بديلاً للفردية التحررية وأشاروا لمجتمع معتمد على التعاون بين أفراد.

أما النظام الإقتصادي الاشتراكي هو نظام فكري قائم على وضع مجموعة من المبادئ والقواعد التي تسيطر على السياسة، والإقتصاد في دولة ما، وأيضا يعرف النظام الاشتراكي بأنه عبارة عن نوع من أنواع الفلسفات الفكرية التي تهتم بصياغة نظام يتحكم بالعوامل الإقتصادية، والسياسية الخاصة بالدولة من خلال الاعتماد على تطبيق فلسفة معينة تربط بين النظام السياسي، والنظام الإقتصادي بعلاقة تكاملية تهدف إلى جعل ملكية الوسائل الإنتاجية، والموارد الإقتصادية ملكية عامة لجميع الأفراد في المجتمع، والذين يتشاركون في التحكم بها كل على حسب دوره، ومن هنا جاء مسمى الاشتراكية للدلالة على تعزيز دور المشاركة بين الأفراد.

تعود أصول ومبادئ النظام الاشتراكي إلى عام 1827م، إذ قام الفيلسوف وعالم الاجتماع (أوين) بصياغة مجموعة من الأفكار التي أطلق عليها مسمى الاشتراكية، ثم أصبح هذا المصطلح مستخدماً عند العديد من الفلاسفة والمفكرين، وفي عام 1864م تم الإعلان عن تأسيس أول جمعية قائمة على الأفكار الاشتراكية الأولى في إنجلترا، في عام 1917م قامت الثورة الروسية، والتي اعتمدت على الأفكار الاشتراكية التي أعلن عنها (لينين)، وفي عام 1918م بعد نجاح الثورة في روسيا تم الإعلان¹ عن تحول روسيا رسمياً إلى النظام الاشتراكي، وبعد ذلك بسنوات ظهرت أفكار الفيلسوف الاشتراكي (كارل ماركس)

¹ -حازم الببلاوي، دور الدولة في الإقتصاد، دار الشروق، مصر، 1998، ص: 46.

والتي تحولت مع الوقت إلى مبادئ للاشتراكية، والتي أطلق عليها لاحقا مسمى الماركسية. في منتصف القرن العشرين للميلاد، وتحديدًا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح النظام الاشتراكي من الأنظمة الرسمية في العديد من دول العالم، وخصوصًا الأوروبية منها التي انتشرت فيها الاشتراكية بشكل كبير، لأنها ساهمت في تحقيق العديد من الأهداف السياسية التي كان يطمح لها السياسيون في تلك الدول، ومن أهمها دول الاتحاد السوفيتي، والصين، وكوريا الشمالية .

وكالرأسمالية، مرت الاشتراكية بمراحل لتتبلور بالشكل النهائي المتعارف عليه والذي طبق في كل من الاتحاد السوفياتي، الصين وكوريا الشمالية، جاء فلاديمير لينين ليطور النظرية الماركسية، حيث طور العناصر الأساسية في الماركسية كالفلسفة والإقتصاد السياسي والاشتراكية العلمية، وهو الذي صاغ نظرية الامبريالية بوصفها أعلى مرحلة من مراحل تطور الرأسمالية وآخرها، وأكد أن الامبريالية في جوهرها رأسمالية احتكارية بل هي احتكار الدولة الرأسمالية، مبينا السمات الأساسية لمرحلة الامبريالية والتناقضات التي تكتنفها، توطئة لتكون الشروط المادية والاجتماعية والسياسية لانتصار الثورة الاشتراكية، واستنتج لينين أن قوة البروليتاريا تكمن في تأثيرها في مجرى التاريخ وأنها أكبر بكثير من حجمها بالقياس إلى إجمالي عدد السكان.

ثم قام بتطوير نظرية متكاملة لمرحلة التحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية محددا قوانينها ونواظمها، مستنتجا من تجربة "كومونة باريس" والثورات الروسية ما استطاع به تطوير نظرية ماركس وأنجلز حول ديكتاتورية البروليتارية، مبينا الأهمية التاريخية لإقامة دولة المجالس (السوفييتات)، وهي دولة ديمقراطية من نوع جديد، لا تقاس بأي جمهورية برجوازية برلمانية.¹

الفرع الثاني: مبادئ و أسس الاشتراكية

مبادئ ومقومات الاشتراكية انطلقت مع "كارل ماركس" وتبلورت على يد العديد من الكتاب من بعده، ويقوم النظام الاشتراكي على العديد من المبادئ والأسس، يمكن تلخيصها فيما يلي²:

¹ -حازم البيلوي، مرجع سابق، ص:47.

² -زينب حسين عوض الله، مبادئ علم الإقتصاد، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1998، ص:86

- الملكية العامة: وذلك من خلال إشراك جميع أفراد الشعب في ملكية وسائل الإنتاج، وتقوم الدولة بعد ذلك بإدارة النشاط الإقتصادي، فهي التي تقرر توزيع الأرض على مجالات الاستخدام المختلفة، وهي التي تحدد كمية الموارد الموجهة لإنتاج السلع الإنتاجية والاستهلاكية، وذلك من خلال إشراك جميع أفراد الشعب في ملكية وسائل الإنتاج، وتقوم الدولة بعد ذلك بإدارة النشاط الإقتصادي، فهي التي تقرر توزيع الأرض على مجالات الاستخدام المختلفة، وهي التي تحدد كمية الموارد الموجهة لإنتاج السلع الإنتاجية والاستهلاكية. والأفراد يقدمون خدماتهم للمجتمع كل حسب طاقته، وقدرته الإنتاجية، وفي المقابل يتسلم كل منهم أجرا بقدر ما يحتاج إليه، فالقاعدة الأساسية في توزيع الدخل أو الناتج: "من كل فرد حسب قدرته، ولكل حسب حاجته"، وإن أدى واقع التجربة إلى تعديلات على هذه القاعدة، من خلال توزيع الدخل وفقا لكمية العمل المبذول، والتباين في المهارات العمالية، مع إشباع الدولة للحاجات العامة -للجميع- بصورة مجانية كالعليم والصحة. واعتمدت الدولة على التأمين للقضاء على الملكية الخاصة، كما ألغت الموارث .

- عدم الاعتراف بحافز الربح: إن الهدف من النشاط الإقتصادي طبقا لهذا النظام هو إشباع الحاجات العامة، أو الجماعة، وليس تحقيق الربح الفاحش، أو السعي للحصول عليه، بل على النقيض من ذلك ينظر إليه على أنه وسيلة من وسائل الاستغلال تؤدي إلى سوء توزيع الدخل والثروة، ويحل محل الربح -كحافز للنشاط الإقتصادي لزيادة الإنتاج، وتنمية الموارد الإقتصادية في النظام الاشتراكي- الشعور الوطني، والقومي، والإحساس بالمسؤولية، والمشاركة في بناء الاقتصاد القومي، وإشباع حاجات المجتمع .

- التخطيط المركزي: وذلك من خلال اعتماد الدولة على جهاز التخطيط، أو الهيئة، أو اللجنة العليا للتخطيط لوضع خطة قومية شاملة تحدد الأهداف القومية المراد تحقيقها، ووسائل تحقيق هذه الأهداف، وإخطار جميع الوحدات الإنتاجية في الدول بهذه الخطة التي تمثل برنامج العمل للوحدات الإنتاجية في المرحلة المقبلة، ممثلا في فترة الخطة المركزية التي عادة ما تكون خمس سنوات، ويقوم التخطيط في النظام الاشتراكي على مبدأ مركزية التخطيط، ولامركزية التنفيذ، فجهاز التخطيط هو الذي يضع الخطة آخذا في الاعتبار رأي الوحدات الإنتاجية وظروفها، وله وحدة القرار النهائي في وضع تلك الخطة، أما التنفيذ فيترك للوحدات الإنتاجية¹ وفقا للخطة

¹ -زينب حسين عوض الله، مرجع سابق، ص: 86-87.

الموضوعة، وبذلك فإن جهاز التخطيط وحده هو الذي يجيب على الأسئلة الثلاثة للمشكلة الاقتصادية: ماذا، وكيف، ولمن ننتج؟ .

ومن خلال الأسس السابقة نستنتج أن أهداف الاشتراكية تتمثل في:

- تطمح الاشتراكية إلى تعزيز التعاون والتشارك في إنتاج السلع والخدمات.
- تهدف الاشتراكية إلى الدفاع عن النظام الإقتصادي للشركات والمؤسسات المختلفة المنتجة لتلك السلع والخدمات مهما كان نوعها .
- تهدف الاشتراكية إلى تحقيق الربح المعقول و استثمار الطاقات البشرية في عمليات الإنتاج .
- تقوم الاشتراكية على مبدأ توفير السلع والخدمات وانتشارها في جميع الأسواق دون اللجوء إلى الاستحواذ على تلك الأسواق ¹ .

المطلب الثاني: إيجابيات وسلبيات النظام الاشتراكي

لكل نظام إيجابيات وسلبيات ومن هذا المنطلق سنتطرق إلى إيجابيات وسلبيات النظام الاشتراكي في هذا المطلب.

الفرع الأول: إيجابيات النظام الاشتراكي

- توزيع وسائل وأدوات الإنتاج بين الأفراد بالتساوي، وهو الهدف الأول من أهداف النظام الاشتراكي.
- وضع خطة تهدف إلى التحكم بالنظام الضريبي للدولة، ومتابعة الهيكلية الاقتصادية للسوق.
- الدفاع عن حقوق العمال دون وجود أي سلطة سياسية، أو اقتصادية تتحكم بحقوقهم أو امتيازاتهم.
- الإعتماد على تطبيق نظام التعاون بين الأفراد من أجل حصول كل منهم على حصته من الإنتاج، والتي تمثل قيمة الدخل الخاص به.
- تطبيق إستراتيجية معينة للتعامل مع الموارد المتاحة في الدولة، من خلال توزيعها على القطاعات الاقتصادية بالتساوي.

¹ -زينب حسين عوض الله، مرجع سابق، 1998، ص: 87.

الفرع الثاني: سلبات النظام الاشتراكي

هناك العديد من العيوب الكامنة في هذا النظام والتي أسفرت عنها التطبيقات العملية مما أدى إلى إنهيار هذا النظام في بعض الدول (خاصة الاتحاد السوفياتي السابق ودول أوروبا الشرقية) ومن أهم هذه العيوب:

- ضعف الحوافز الفردية : على الرغم من أن النظام الاشتراكي يعتمد على مجموعة من الحوافز المادية والمعنوية التي تشجع العمال على الإنتاج، إلا أن هذه الحوافز لا ترتقي إلى درجة حافز الربح في النظام الرأسمالي، ومن ثم فإن ذلك قد يؤدي إلى نوع من التراخي من جانب بعض المسؤولين أو المشرفين على حسن إدارة المشروع .
 - المركزية المتشددة: كذلك نجد أنها في النظام الاشتراكي، حيث تتجمع سلطة اتخاذ القرارات في أيدي مجموعة قليلة من المخططين، لذلك فإن أي قرار خاطئ تصدره مثل هذه السلطة يمكن أن يكون لها آثار سيئة على المجتمع كله، في حين أنها في النظام الرأسمالي نجد أن إتخاذ أي منتج لقرار خاطئ لن يكون لها نفس الآثار السيئة من حيث شمولها، كما أن المنتج وحده هو الذي سوف يتحمل نتيجة هذا القرار .
 - البيروقراطية والتعقيدات الإدارية: الروتين هو من أهم ما يتعرض له النظام الاشتراكي من عيوب، ففي هذا النظام نجد الدولة تقوم سواء مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، بإدارة المشروعات المختلفة في المجتمع والإشراف عليها ومراقبتها، وهذا من شأنها أن يتطلب وجود جهاز إداري ضخم، ووجود نظام للمراقبة الدقيقة والمتابعة المستمرة، وهذا يؤدي بدوره إلى ارتفاع تكاليف الانتاج من ناحية، وإلى تعطيل الكثير من الإجراءات من ناحية أخرى.
- إن المشكلة الأساسية في تطبيق المبادئ الاشتراكية ترجع في نظرنا إلى إهمال العوامل في طريقة الإنتاج الاشتراكي، أو على الأقل في التطبيق الغير الواعي، وخاصة في مرحلة التطور والنمو التاريخي لقوى الإنتاج فيما بعد الرأسمالية. فالإشتراكية العلمية قد نبعت وتطورت من المتناقضات الرأسمالية باعتبارها عائقاً أمام نمو القوى الإنتاجية، ومن ثم فإن التغلب عليها لا يتم إلا بالغائها. وهذا يعني أن حل محل علاقات الانتاج الرأسمالي وبطريقة ثورية علاقات الإنتاج الاشتراكي، فطريقة الإنتاج الاشتراكي تمثل الحل النهائي للمتناقضات الرأسمالية.¹

¹ -مدحت القرشي، تطور الفكر الإقتصادي، دار وائل للنشر، الأردن، 2008، ص: 94-95.

ولكن هذا لا يمنع طبقا للمنطق الديالكتيكي أن تبرز متناقضات على مستوى الطريقة الجديدة من خلال التطبيق والأداء، وإذا كانت طريقة الإنتاج الرأسمالي تحاول أن تتخلص من تناقضاتها عن طريق تعميقها أو الوصول بها إلى حدها الأقصى (كالتحول من نطاق المنافسة إلى الإحتكار)، فعلى العكس من ذلك فإن حل المتناقضات الاشتراكية يتم عن طريق التضيق من نطاقها أو الوصول بها إلى حدها الأدنى.¹

يتضح من خلال عرضنا لهذا النظام أن جوهر الاشتراكية إقتصادي ويتعلق بملكية وسائل الإنتاج وباتخاذ قرارات استعمال الوسائل وكيفية توزيع الناتج القومي المحقق من هذا الاستعمال ونتج عن التطبيق العملي لمجموعة المبادئ التي يقوم عليها النظام الاشتراكي العديد من المزايا والعيوب التي تم عرضها.

كذلك عرضنا بعض مزايا الاشتراكية كالمساواة والعدل في توزيع الدخل القومي، والتخطيط المركزي القائم على تصورات مستقبلية وخطط مدروسة بعناية ودقة، وتبين كذلك أن النظام الاشتراكي يشوبه العديد من العيوب التي اتضحت بشكل لافت أثناء التطبيق العملي لهذا النظام ومن هذه العيوب الروتين والمركزية المتشددة وضعف نظام الحوافز الفردي.

في أواخر القرن العشرين انهارت العديد من الدول الاشتراكية بسبب طغيان العيوب على المزايا، وهذا ما يفسر أن العيوب التي ظهرت في الاشتراكية كانت تمس جوهر النظام وأساسه، وبالتالي أدى ذلك إلى انكماش عدد الدول الاشتراكية، وتأثر الكثير بالنظريات الأخرى كالرأسمالية العصرية التي تدمج بين النظام الرأسمالي القديم والنظام الاشتراكي.

المبحث الثالث: النظام الإقتصادي الإسلامي

تميزت الأرض بظهور الكثير من الحضارات القديمة البارزة على مر العصور والأزمنة وقد تركت هذه الحضارات خلفها الآثار التي تدل عليها وتعد الحضارة الإسلامية من أقوى الحضارات وأبرزها في المجال الاقتصادي.

¹ - مدحت القرشي، مرجع سابق، ص: 95.

المطلب الأول: مدخل إلى الحضارة الإسلامية

تعتبر الحضارة الإسلامية من أرقى الحضارات التي ظهرت على وجه الأرض وأضافت الكثير للبشرية، وقد كانت مرتكزة في بداية عهدها على تعاليم الشريعة الإسلامية التي تعبر عن مجموعة من القوانين في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، وكانت نواة هذه الحضارة هو نزول الوحي الذي امتد فترة من الزمن، وما يجب الإشارة إليه أن الحضارة الإسلامية اعتمدت أيضا على الموروث اليوناني والروماني وحتى الفارسي في العلوم والفنون وإدارة الدولة والاقتصاد غيرها، ومن خلال هذا الفصل نستعرض الوقائع الاقتصادية في الحضارة الإسلامية العربية الى غاية انحلالها.

الفرع الأول: تعريف الحضارة الإسلامية

هي حضارة تقوم على الإسلام، حيث أن الفكر الإسلامي هو الذي بناها وشيدها، وهي حضارة إنسانية تشمل مختلف جوانب الحياة، كما أنها حضارة ربانية تعود إلى العلم الذي جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وقد استفادت الحضارة الإسلامية من مختلف الحضارات السابقة في قيامها وقد تفوقت عليها، فرفعت من شأنها الشورى، والعدالة، والمساواة، والحرية، ومختلف الحقوق الإنسانية، ويمكن القول إن الحضارة حضارة نتجت من تفاعل مجموعة الثقافات الخاصة بالشعوب التي دخلت في دين الإسلام، كما أنها خلاصة تفاعل الحضارات الموجودة في المناطق التي وصل إليها الإسلام أثناء الفتوحات الإسلامية.

تعد الحضارة الإسلامية إرثا تتشارك فيه جميع الشعوب والأمم التي انضمت لها وساهمت في بنائها وازدهارها، فهي ليست حضارة مقتصرة على جنس معين من البشر أو الأقوام، وإنما حضارة شاملة لجميع الأجناس التي كانت لها مساهمة في بنائها، وتشمل الحضارة الإسلامية في مفهومها على نوعين، أولهما الحضارة الإسلامية الأصلية وهي حضارة الإبداع التي يعد الدين الإسلامي المصدر والمنبع الوحيد لها، وثانيهما حضارة البعث والإحياء، لأنها نتجت عن تطبيق المسلمين لأمر تجريبية مختلفة كما يُقصد بالحضارة الإسلامية مجموعة الجهود المبذولة من قبل العلماء المسلمين، وأدت إلى¹

¹-خالد أبو القمصان، موجز الأفكار الاقتصادية عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص: 120.

إخراج نظريات ناجحة في التكنولوجيا والعلوم على مستوى العالم، وسيطرت الحضارة الإسلامية على مجال العلوم منذ القرن الثالث للهجرة حتى القرن الخامس للهجرة، كما شملت الحضارة الإسلامية مختلف الجوانب المادية والمعنوية، وكرست نفسها لتسهيل التقدم والتطور، حتى قيل فيها إنه لا توجد حضارة في الوجود قدمت للبشرية ما قدمته الحضارة الإسلامية¹

اهتمت الدولة الإسلامية التي أنشأها النبي صلى الله عليه وسلم واستمرت تحت مسمى الخلافة في الفترات الأموية والعباسية بالعلوم والمدنية كما اهتمت بالنواحي الدينية فكانت الحضارة الإسلامية حضارة تمزج بين العقل والروح فامتازت عن كثير من الحضارات السابقة، فالإسلام كدين عالمي يحض على طلب العلم ويعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة، لتنهض أممه وشعوبه، فأى علم مقبول باستثناء العلم الذي يخالف قواعد الإسلام ونواهيه، والإسلام يكرم العلماء ويجعلهم ورثة الأنبياء.

وتتميز الحضارة الإسلامية بالتوحيد والتنوع العرقي في الفنون والعلوم والعمارة طالما لا تخرج عن نطاق القواعد الإسلامية، لأن الحرية الفكرية مقبولة تحت ظلال الإسلام وكانت الفلسفة يخضعها الفلاسفة المسلمون للقواعد الأصولية مما أظهر علم الكلام الذي يعتبر علما في الإلهيات. وكانت مشاغل هذه الحضارة الفتية تبدد ظلمات الجهل وتنير للبشرية طريقها من خلال التمدن الإسلامي.² فبينما كانت الحضارة الإسلامية تموج بديار الإسلام من الأندلس غربا لتخوم الصين شرقا في عهد الدولة الأموية كانت أوروبا وبقية أنحاء المعمورة تعيش في جهل وظلام حضاري. وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتتشع على بلاد الغرب وطرقت أبوابه. فنهل منها معارفه وبهر بها لأصالتها المعرفية والعلمية. مما جعله يشعر بالدونية الحضارية. فنار على الكهنوت الديني ووصاية الكنيسة وهيمنتها على الفكر الإسلامي حتى لا يشيع. لكن رغم هذا التعتيم زهت الحضارة الإسلامية وشاعت، وانبهر فلاسفة وعلماء أوروبا من هذا الغيث الحضاري الذي فاض عليهم. ولكن الفكر الإسلامي تمكن منهم وأصبحت الكتب الإسلامية التراثية والتي خلفها عباقرة الحضارة الإسلامية فكرا شائعا ومبهرًا، فتغيرت أفكار الغرب وغيرت الكنيسة من فكرها ومبادئها المسيحية لتساير التأثير الإسلامي على الفكر الأوروبي وللتصدي للعلمانيين الذين تخلوا عن الفكر الكنسي وعارضوه وانتقدوه علانية. وظهرت المدارس الفلسفية الحديثة في عصر النهضة أو التنوير في أوروبا كصدى لأفكار الفلاسفة العرب. وظهرت مدن

¹-خالد أبو القمصان، مرجع سابق، ص: 120.

²-صالح صالح، المنهج التنموي البديل في الاقتصاد الإسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2006، ص: 18.

تاريخية في ظلال الحكم الإسلامي كالكوفة وحلب والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة والرقّة والفسطاط والعسكر والقطائع والقيروان وفاس ومراكش والمهدية والجزائر وغيرها. كما خلفت الحضارة الإسلامية مدناً متحفية تعبر عن العمارة الإسلامية كإستانبول بمساجدها ودمشق والقاهرة بعمائرهما الإسلامية وحلب وبخارى وسمرقند ودلهي وحيدر أباد وقندهار وبلخ وترمز وغزنة وبوزجان وطليطلة وقرطبة وإشبيلية ومرسية وسراييفو وأصفهان وتبريز ونيقيا وغيرها من المدن الإسلامية.¹

إن مصطلح العالم الإسلامي يغطي المساحة من مضيق جبل طارق حتى مضيق Malaka ومن نهر التونا إلى بحر العرب، إن هذه العالم الإسلامي الذي يحتوى على ما يقارب مليار ونصف من البشر يمتد من الشرق إلى الغرب على طول 15 ألف كيلو متر ومن الجنوب إلى الشمال إلى 9 آلاف كيلو متر من جبال الأورال إلى موريتانيا ويغطي مساحات واسعة جداً. ولو نظرنا إلى العالم الإسلامي الممتد الواسع بهذا الشكل سنظهر من البداية أن من وضع الخرائط الخاصة بمواجهة الحضارات مثل صمويل هونتجتون قد أخرج الهندوس والبوذيين من هذه المنظومة وترك المسلمون والمسيحيون ليتحاربوا، وسنرى أيضاً من هذه النظرة الواسعة لهذه الخريطة الواسعة الأطراف أن العالم الإسلامي غني بالثقافات لأنه بني على حضارات النهر الأصفر والهند وبلاد ما بين النهرين ومصر وروما² وغيرها من الحضارات. وسنجد أيضاً هذا العالم الإسلامي غني بالموارد الطبيعية البحرية حيث أنه يحتوي على العديد من البحار والأنهار والبحيرات مثل النيل والبحر الأبيض المتوسط وبحر الخزر ونهري دجلة والفرات والبصرة وبحار وبحيرات المغرب العربي وبالإضافة إلى تلك الموارد المائية فالموارد الجوفية فتحتوي هذه البقعة من العالم على أعلى كميات الموارد الجوفية من المعادن والبتروول والذهب والماس. فباختصار إن هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف من سواحل إفريقيا الأطلسية إلى جنوب المحيط الهادي ومن متجمعات سيبيريا إلى الجزر البعيدة في شرق آسيا يحتوي على العديد والعديد من الثقافات والحضارات مثل الصينية والمغولية والماليزية والبشتونية والطاجيكية والتركية والشيشانية والفارسية والكردية والعربية والرومية والبربرية والسواحيلية وغيرها من الحضارات والثقافات الإفريقية.³

¹ -صالح صالح، مرجع سابق، ص: 19-20.

² -خالد أبو القمصان، مرجع سابق، ص: 121.

³ -محمد جعفر، أحمد فريد، الإقتصاد المالي الوضعي والإسلامي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة شباب الجامعة، مصر 1999، ص: 24.

الفرع الثاني: عوامل قيام الحضارة الإسلامية

- **العامل السياسي والاجتماعي:** من الناحية السياسية والاجتماعية، كانت "يثرب" تعيش في ظل تنوع ديموغرافي يطبعه اختلال في موازين القوى لصالح اليهود على حساب العرب، كل ذلك في ظل غياب سلطة سياسية مركزية موحدة.
- **عامل اقتصادي:** تنوع البنية الاقتصادية فهناك الزراعة التي تعتبر يثرب إحدى أهم واحاتها في الجزيرة العربية إلى جانب الطائف وعسير وحضرموت، فهذه المناطق كانت تمتاز بخصوبة أراضيها ووفرة مياهها وكثرة وتنوع أغراسها وقد كان التطور الزراعي في "يثرب" حيلة الخبرة الزراعية التي أتى بها اليهود من بلاد الشام من جهة والعرب التي هاجرت من بلاد اليمن من جهة ثانية أما فيما يخص النشاط الصناعي والحرفي فقد قامت في "يثرب" مجموعة من الصناعات خاصة تلك تعتمد على الإنتاج الزراعي المحلي، كما عرفت بعض الصناعات التعدينية كصناعة الأسلحة والآلات المستخدمة في الري والزراعة وأخيرا فإن النشاط التجاري كان له حضوره أيضا بحكم موقع يثرب كنقطة على طريق الشام فضلا على أن فائض الإنتاج الزراعي والصناعي يقتضي تطوير أساليب التجارة لصرفه نحو الخارج.

الفرع الثالث: المال في الإسلام

المال له أهمية عظيمة في إنعاش اقتصاد الدولة، وفي رفع مستوى معيشة الأفراد، والتخفيف من المعاناة التي يحس بها الإنسان، وهذا الشغف بجمع المال قد يدفع الإنسان إلى عدم تحري الحلال في جمع المال، وبالتالي يصبح هذا الإنسان عبدا للمال، ذليلا له، كما أن ضعفه أو عجزه عن مقاومة شهواته وغرائزه قد يدفعه إلى إنفاق المال بصورة قد تضر به وبمجتمعه، فوضع الإسلام ضوابط للكسب والإنفاق، وبين أن الناس مسؤولون عن أموالهم وطرق إنفاقها، وحذرهم من انشغالهم بها عن آخرتهم أو افتتانهم بها، الإسلام نهى عن إضاعة المال وبما أن المال نعمة، وخير، وقيام الحياة، فينبغي أن نحفظه، وأن نحافظ عليه كي نلبي¹

¹ -أسامة عبد المجيد عبد الحميد، السمات الاقتصادية للعصر العباسي الأول، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، العراق، العدد 4، 2000، ص: 451.

به حاجاتنا الأساسية، وألا نضيعه، نهى الله عن التبذير لا ينفق المال في المعاصي وبناءا على هذه المبادئ والأسس السابقة يكون للإنسان الحق في التصرف في ماله كسبا وإنفاقا وإدارة، وهي حقوق مترتبة على ملكية الإنسان للمال الذي جاء من طريق شرعي.

وبالتالي هناك طرق مشروعة في كسب المال وأخرى محرمة، سنتطرق إليها في هذا الفرع.

• **طرق الكسب الحلال:** على المسلم أن يتحرى الحق والصواب في طلب المال، ومن هذه

الطرق المشروعة:

- العمل الشريف: مثل الزراعة والصناعة والتجارة والوظيفة والحرفة، وغيرها، فممارسة العمل الشريف حماية للإنسان من التعطل وتوجيه لطاقته من أجل البناء والتعمير والتنمية، واستخراج خيرات الأرض، استجابة لأوامر الله.
- الميراث: وذلك بأن تنتقل ملكية المال إلى ورثة المتوفى، طبقا للقواعد الشرعية المقررة لهذا الميراث.
- الهبة: وهي أن يتنازل الإنسان عن بعض ماله إلى غيره دون مقابل، فتنتقل ملكية هذا المال إلى هذا الغير.
- الوقف: ويكون بحبس المال الحلال على بعض أوجه الإنفاق الشرعية، ولا يتصرف في أصله، والوقف قد- يكون على الأهل والأقارب ومن بعدهم الفقراء، وقد يكون الوقف على أبواب الخير، مثل: بناء مسجد أو مدرسة أو مستشفى أو ما سوى ذلك من المشاريع الخيرية.
- الوصية: وهي أن يهب الإنسان إنسانا آخر جزءا من ماله لا يتجاوز الثلث، يأخذه بعد موت الموصي.
- غنائم الحرب: وهي المال الذي يؤخذ من أعداء الإسلام نتيجة الحروب، وقد أحل الله الغنائم للمسلمين.
- الفية: وهو المال الذي يؤخذ من أعداء الله نتيجة استسلامهم، ولا يبذل المسلمون في ذلك مشقة، ولا يتكفون فيه قتالا.¹

¹ -أسامة عبد المجيد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 452.

• الطرق المحرمة في اكتساب المال:

حرم الإسلام بعض الطرق التي يكتسب بها المال، وهي:

- بيع الميتة.
- الربا: حرم الله الربا بكل صوره.
- الاحتكار: وهو حرام.
- العدوان: فلا يجوز للمسلم أن يعتدي على مال الآخرين ليأخذه.
- الرشوة: فالمسلم الذي يحصل على ماله عن طريق الرشوة آثم عند الله تعالى.
- الغش: فاكْتساب المال عن طريق الغش حرام لا يجوز وعلى المسلم أن يبتعد عن الشبهات.

المطلب الثاني: الوقائع الإقتصادية في الحضارة الإسلامية

سننتطرق في هذا المطلب إلى أهم الوقائع الإقتصادية في كل من الدولة العباسية والأموية، وكذا أسباب انحطاط وانهايار الحضارة الإسلامية.

الفرع الأول: الأحداث الإقتصادية في الدولة الأموية

ازدهر الإقتصاد في عهد الدولة الأموية ازدهارا كبيرا نتيجة للفتوحات الإسلامية الكبيرة التي أدت إلى توسيع رقعة الدولة ووفرت لها مواردها كلها، وأصبحت الدولة الأموية مهيمنة على أغلب الطرق التجارية في العالم القديم ومن ثم على الحركة التجارية فضلا على المراكز الزراعية والتجارية والصناعية.

-الزراعة في الدولة الأموية: اهتم العرب والمسلمين عموما بالزراعة اهتماما عظيما واعتنوا بأنظمة الري وأقاموا الجسور والسدود والقناطير وبنوا الطواحين كقنطرة قرطبة ومن أهم المحاصيل الحمضيات القطن والحبوب.

-التجارة في الدولة الأموية: شهدت الدولة الأموية حركة تجارية نشطة عبر أنحائها المختلفة الواسعة إذ أصبحوا يسيطرون على كل الطرق التجارية ويصدرون بضائعهم إلى الشرق والغرب فالصين لها¹ على

¹ -أسامة عبد المجيد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 453.

سبيل المثال الصوفية والقطنية والمعادن وخام الحديد، وانتعش الإقتصاد إثر ما يشبه رسوما جمركية كانت تفرض على القوافل.

-الصناعة في الدولة الأموية: بعد سيطرة الدولة الأموية على مصر والمغرب استمرت بدعم بعض الصناعات الأساسية مثل صناعة الأقمشة وورق البردي، كما أن توسع الدولة الأموية فتح لها الأسواق الجديدة فمثلا تصدير القمح من مصر إلى قسنطينة كما أنها ازدهرت بصناعة الأدوات الحربية كالسيوف و السفن البحرية.¹

الفرع الثاني: الأحداث الاقتصادية في الدولة العباسية

-الزراعة في الدولة العباسية: لقد تركت الحضارة العباسية آثارا باقية حتى يومنا هذا سواء في الفكر والعلوم المتنوعة أو في الواقع، حيث الآثار والأبنية التي ظلت شاهدة على عصر من أزهى عصور الإسلام المجيد، لم يتوانى العباسيون في الإجتهد من أجل استعمال الأرض واستثمارها وفقا للضوابط الشرعية لاسيما في فترات قوة دولتهم فقد اهتموا بالأرض السواد وهي المناطق الزراعية في العراق ودأبوا على المحافظة على شق القنوات وتجديدها وجعلوها من الوظائف الرسمية للدولة، بل وحرصا منهم على استثمار الأراضي الواقعة بين الدجلة والفرات فقد أوصلوا مياه النهرين بالآخر وبقيت هذه القنوات يستفاد منها حتى يومنا هذا، ومما يدل على اهتمام الخلافة العباسية بالمياه وشدة الحرص على استثمارها وحمايتها ما ذكره ديورانت بقوله نتعهدنا بالصيانة والتطهير فأوصلت ماء الفرات الى أرض الجزيرة وماء الدجلة إلى أرض فارس وشقت قناة كبيرة بين النهرين التوأمين عند بغداد، وكان خلفاء الدولة العباسية الأولون يشجعون الأعمال الخاصة بتجفيف المستنقعات وتعمير القرى المخربة والضياع التي هجرها سكانها، وفيما يتعلق بالاهتمام بالحيوان ورعايته فقد انطلقت المؤلفات في علم الحيوان في العصر العباسي انطلاقا مهمة في تاريخ علم البيطرة العالمي بل حرص كثير من أبناء المجتمع الإسلامي بامتهان هذه المهنة فقد ذكر سارتون أن من أهمية علم البيطرة عند المسلمين ولشدة احترامهم لهذه المهنة تجد الكثير من العائلات تأخذ كنية البيطري وأن هذا العلم قد أصبح فرعاً متخصصاً من فروع العلاج في ذلك الوقت المبكر في تاريخ الإسلامي .²

¹ - سامر مظهر قنطقي، ضوابط الإقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية دار النهضة، مصر، 2008، ص: 33.

² - أسامة عبد المجيد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 423.

-التجارة في الدولة العباسية: بعد أن سيطر العباسيون على الخلافة عملوا على توطيد أركان الدولة الإسلامية، ومنه بدؤوا بالاهتمام بالحياة الاقتصادية من جميع جوانبها الزراعية والتجارية والصناعية، فاهتموا بمختلف الصناعات في البلاد الإسلامية وأقاموا لها الأسواق واستخرج الثروات المعدنية، وكذلك كان للتجارة اهتمامها وعملوا على التبادل التجاري بين الدول الإسلامية وبينها وبين الدول الأخرى وساعدت التجارة على نشر الإسلام وتبادل الأفكار والثقافات والتعرف على شعوب العالم المختلفة، وكل هذا التطور الاقتصادي كان له دور في النهضة العلمية والتعرف على نتائج الحضارات الأخرى وانتشار العلوم المختلفة في البلاد الإسلامية، وأيضاً كان له دور في تطور الحياة الاجتماعية وثناء الناس و هذا أدى الى ثراء خزنة الدولة الإسلامية.¹

الفرع الثالث: عوامل انحطاط الحضارة

• عوامل سياسية:

• ما أصاب العالم العربي الإسلامي من تمزق في وحدته السياسية، إذ حلت الكثرة محل الوحدة، وقامت على أنقاض الدولة الواحدة ممالك ودول عدة، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فإذا كانت سلطة الخليفة في العصر الأموي قد امتدت من الأندلس غرباً إلى سمرقند شرقاً، فإن هذه السلطة لم تعد تتجاوز في القرن الأخير من التاريخ العباسي (السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) مدينة بغداد وضواحيها. ولقد تعزز هذا الانقسام السياسي بتمزق الوحدة الدينية، إذ أخذ يتنافس على زعامة المسلمين، منذ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) ثلاثة خلفاء: عباسي في بغداد وأموي في قرطبة، وفاطمي في القاهرة. ولاشك في أن هذه الانقسامات جميعاً، أدت إلى اندلاع الحروب بين القوى الإسلامية، ودفع المسلمون عامة الثمن غالباً من أرواحهم واقتصادهم ومدنيتهم، ويكفي أن نقرأ ما دار في المشرق العربي والإسلامي من حروب² بين السلاجقة والفاطميين والعباسيين. لنذكر كيف استنفدت طاقات الأمة، المادية والأدبية،

¹ -أسامة عبد المجيد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 423.

² - محمد شوقي الفنجري، المذهب الاقتصادي في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010، ص: 95.

وكيف قطف الصليبيون ثمار هذه الحروب في أواخر القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد). كما علينا أن نتذكر قصة الحروب التي دارت في الأندلس بين ملوك الطوائف وأثرها على مصير العرب المسلمين وحضارتهم.

- إن الإرهاب السياسي الذي عم العالم العربي والإسلامي، كان له أبلغ الأضرار على كل ألوان النشاط الحضاري في المجتمع الإسلامي، فقد أصبحت مبادئ الإسلام في الشورى والمساواة والعدالة والتسامح في واد،
- والممارسات السياسية في واد آخر، فقد تحكم الأتراك المرتزقة بمصير الخلفاء العباسيين منذ أواسط القرن التاسع الميلادي، ثم حل طغيان البويهيين منذ أواسط القرن الحادي عشر الميلادي، واستمر هذا الإرهاب السياسي في عصر المماليك (1250 - 1517م) الذي كان فيه الحكم لمن غلب.

- عوامل إقتصادية: الزراعة في المشرق العربي والإسلامي خضعت منذ القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد)، إلى نمط جديد في الإنتاج، وهو ما عرف بالنظام الإقطاعي - العسكري، ويقضي هذا النظام، بأن يقطع السلطان كل قائد في جيشه إقطاعاً من الأرض بدلاً من المرتبات التي كان يتقاضاها من الدولة، وفي المقابل يتعهد هذا القائد، أي المقطع، بأن يخضع للسلطان مباشرة، ويؤدي ما عليه من التزامات مادية واجتماعية وعسكرية، وهذا النظام أطلق أيدي القادة والأجناد في الأرض والفلاحين الذين يعملون فيها، دون أن يكون هناك رقيب أو قانون يحاسبهم، اللهم إلا السلطان نفسه. وقد اكتمل تطبيق هذه النظم في مصر والشام في العصر المملوكي. وبغض النظر عن التفاصيل المتعلقة بهذا النظام، فإنه ألحق الكوارث بالأرض والفلاح. وقد تجلّى ذلك في الضرائب الشرعية وغير الشرعية، النقدية والعينية، التي انتزعت من الفلاحين، هذا فضلاً عن الطرق الوحشية التي كانت تجبى¹

بها، وبالرغم من شكاوى الفلاحين، فإنها لم تصل في معظمها إلى مع السلاطين. وقد دفعت هذه الإضطهادات الفلاحين إلى الفرار من الأرض إلى المدن، مما ترتب عليه خراب الأرض الزراعية من ناحية، وخلق المشكلات الإقتصادية والإجتماعية والأمنية في

¹ - محمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص: 96.

المدن من ناحية أخرى. وبالإضافة إلى هذا، علينا أن نتذكر ما أصاب عناصر الإنتاج الزراعي من تعاقب الأوبئة والفيضانات والجفاف، كما تدهورت التجارة في العالم العربي والإسلامي تدهورا كبيرا لا بسبب الضرائب والمكوس الشرعية وغير الشرعية وعمليات الابتزاز والمصادرة التي كان يعاني منها التجار فحسب، وإنما أيضا نتيجة تجزئة العالم العربي والإسلامي والحروب الأهلية، وما ترتب عليها من انعدام الأمن والسلام على امتداد الطرق التجارية وانتشار القرصنة في البر والبحر، وإهمال الطرق والمسالك والمحطات البريدية ووضع العراقيل أمام انتقال التجار بين الدول الإسلامية المتنازعة، كما أن احتلال الصليبيين للساحل الشامي، ولمدة قرنين تقريبا (1098 - 1291م) أدى إلى حرمان التجار العرب والمسلمين من البحر المتوسط وأسواقه وموانئه، ومن دورهم كوسطاء بين الشرق والغرب، حيث انتزع هذا الدور الأوروبيون عامة والإيطاليون خاصة. كما أصيبت الحركة التجارية بأضرار بالغة من جراء الصراع بين العرب والصليبيين والغارات الصليبية على القوافل التي كانت تنقل السلع والمتاجر بين الشام ومصر والجزيرة العربية، كما ألحقت الغزوات المغولية المتلاحقة بدءا من أيام جنكيز خان (1227م) وهولاكو (1265م) وحتى تيمور لنك (1406) كوارث حقيقية بالتجارة العربية والإسلامية، حيث نهب المغول ودمروا عشرات من المدن التي كانت تشكل مراكز تجارية كبرى مثل سمرقند وبخارى وبغداد.. إلخ. وأخيرا تلقت التجارة العربية والإسلامية ضربة مميتة على يد البرتغاليين، ذلك أن اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام 1498 على يد فاسكو دوجاما، فتح طريقا جديدا بين أوروبا والهند، وبالتالي خسر العرب والمسلمون دورهم في التجارة الدولية، كما فقد البحر الأحمر أهميته كطريق رئيسي بين الشرق الأقصى وأوروبا، وخسرت دولة المماليك في مصر والشام موردا ضخما من مواردها الاقتصادية¹.

ولم تكن الصناعة بمنأى عما تعرضت له الزراعة والتجارة من مصاعب، بل إن تدهور الصناعة ارتبط ارتباطا وثيقا بتدهورها، فقد عانى الصناع والحرفيون من عمليات الابتزاز والمصادرة، التي كانت تمارسها الدول الإسلامية، ومادامت معظم الصناعات كان تتركز في المدن، فقد عانت مما كان يجري في المدن من دمار وخراب وقتل وسلب

¹ - محمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص: 98.

وحرائق، كما تلقت الصناعة ضربات مؤلمة على يد المغول، حيث نقل جنكيز خان مئات الصناع والحرفيين من المدن الإسلامية، التي استولى عليها مثل نيسابور وغيرها إلى منغوليا.

- عوامل إجتماعية: يرى فريق من الباحثين أن انصراف الطبقات الحاكمة والفئات المتحالفة معها، ولاسيما منذ العصر البويهي عن قيم الإسلام وأخلاقه ومثله، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، يُعد عاملا مهما من عوامل انحطاط الحضارة العربية الإسلامية، فالفصل بين الدين والحياة، وبين القيم والأخلاق الإسلامية والممارسات السياسية، أدى إلى الانغماس في الكثير من المفاصد والانحرافات الأخلاقية والأمراض الاجتماعية التي هددت المجتمع من الداخل، واستنفدت قوى أبنائه العقلية والجسدية معا، هذا فضلا عن هيمنة ثقافة الخوف وقيم الخنوع والاستسلام للواقع، وانتشار الرياء والنفاق والتزلف الذي كانت تشجعه الطبقات الحاكمة.

- الأسباب الخارجية: مع تسليمنا بما ذهب إليه الكثير من الباحثين، من أن العوامل الخارجية لا تسقط الحضارة فإننا لا نستطيع أن نغفل أثر بعض هذه العوامل في تدهور الحضارة العربية الإسلامية، وأهمها:

- سقوط صقلية بأيدي النورمان: فمن المعروف أن النورمان استغلوا الانقسامات التي دبت بين الأمراء العرب في صقلية ونجحوا في انتزاعها منهم عام (1091م)، وقد خسر العرب بذلك مركزا مزدهرا ومتقدما لحضارتهم في جنوب أوروبا، وموقعا استراتيجيا مهما في البحر المتوسط.¹

- الحروب الصليبية (1098 – 1291): لاشك في أن الحروب الصليبية قد استنفدت الموارد الإقتصادية لدول المشرق العربي، التي حملت لواء الجهاد ضدهم، فقد كانت مسألة شراء الأسلحة والحديد والأخشاب والرقيق وبناء القلاع والحصون، تأتي في أولويات مشاريعها ونفقاتها، كما أن حالات التوتر والقلق والحماس الديني، الذي عم أبناء

¹ - محمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص: 98.

المشرق العربي، وعلى امتداد قرنين من الصراع مع الصليبيين، قد شغل الناس عن مسائل العلم والثقافة من ناحية، وألحق أبلغ الأضرار بالاقتصاد الذي يستند إليه التقدم الحضاري من ناحية أخرى.

- الغزوات المغولية: تعد الغزوات المغولية أكثر الغزوات التي تعرض لها العالم العربي والإسلامي قسوة ووحشية، فقد دمر المغول أيام جنكيز خان عواصم العلوم والثقافة والتجارة في شرق العالم الإسلامي، وبما كانت تحتويه من مئات المساجد والمدارس والمكتبات والأسواق، هذا فضلا عن قتل وتشريد آلاف العلماء والأدباء، ونهب كنوز وثروات تجمعت فيها عبر العصور.

- سقوط الأندلس بأيدي الإسبان: قبل سقوط جزيرة صقلية بيد النورمان كان قد بدأ الإسبان، ما عرف باسم «حرب الاسترداد»، أي استرداد الأندلس من العرب المسلمين ونجح هؤلاء في انتزاع الأندلس قطعة قطعة، حتى انتهى الوجود العربي فيها بتسليم بني الأحمر غرناطة للإسبان، وقد خسر العرب بذلك بلدا متميزا بثروته الإقتصادية وموقعه الإستراتيجي على الشاطئ الغربي للمتوسط، كما أن خروجهم يعني أنه لم يعد لهم موطئ قدم في القارة الأوروبية، هذا فضلا عن أنهم فقدوا بلدا حضاريا مزدهرا، بل كان متوقفا في الكثير من الميادين على حضارة إخوانهم في المشرق آنذاك، رافقت الحروب الطويلة بين العرب والإسبان في الأندلس، الكثير من أعمال التدمير لمظاهر الحضارة العربية، كما فر الآلاف من العلماء العرب المسلمين إلى المغرب العربي ومصر والشام. ومما زاد الأمر سوءا أن الإسبان أنفسهم اتخذوا موقفا مناقضا لموقف نورمان صقلية تجاه الحضارة العربية، حيث انتهجوا سياسة استهدفت محو آثار العرب¹

المادية وتراثهم العلمي، بل لم يتردد الإسبان المتعصبون، وفي مقدمتهم رجال محاكم التفتيش، في إحراق الكثير من المكتبات ودور العلم العربية التي كانت تزخر بها المدن الأندلسية، فأحد رؤساء الأساقفة، مثلا، قام بإحراق ثمانين ألف مجلد من كتب التراث العربي بعد جلائهم عن الأندلس.

¹ - محمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص: 99.

- عوامل علمية: يعد تدهور الحياة العلمية سببا من أسباب انحطاط الحضارة العربية ومظهرها من مظاهره، فقد غابت الأفكار المبدعة واختفت العقلية العلمية لتحل محلها الخرافات والغيبيات، فالأدب انشغل -منذ العصر الأيوبي وحتى العثماني- في تطريز العبارات وزخرفة الكلمات دون الاهتمام بالمحتوى الفكري، كما استمر المؤرخون -باستثناء بعضهم أمثال ابن خلدون (ت 1406م) والمقريزي (ت 1441م)- في الاهتمام بسير الخلفاء والسلاطين والملوك والأعيان، ولاشك في أن هذا الانحطاط الفكري يعود إلى أسباب عدة منها:

- غياب رعاة العلم من خلفاء ووزراء، فالضعف أصاب مؤسسة الخلافة نفسها، فقد انتهى عصر العباسيين الأوائل الذي كان يعد فيه الخلفاء من العلماء، ويعقدون مجالس العلم والأدب في بلاطهم وينفقون على المؤسسات العلمية ورجالها، ويدفعون الذهب ثمنا لشراء المخطوطات وترجمتها، أما خلفاء العصور العباسية المتأخرة فلم يعد العلم هما يشغلهم.

- إن الدول الإسلامية، ربطت العلم ومؤسساته ربطا محكما بمصالحها، منذ بدايات العصر السلجوقي، حقيقة أسس الوزير السلجوقي نظام الملك (ت 1092م) المدارس وبنى الأيوبيون والمماليك الكثير منها في مصر والشام، ولكن ذلك لم يؤدي إلى نهضة علمية شاملة، لأن هذه الدول هيمنت على التعليم ومؤسساته ووجهتها نحو ميادين تخدم مصالحها السياسية والمذهبية والإدارية. وكان الإرهاب الفكري الذي مارسته الدول الإسلامية منذ العصر العباسي الثاني عاملا أساسيا في تدهور الحياة الفكرية للحضارة العربية، وقد بدأت تباشر هذا الإرهاب في القضاء على المعتزلة.¹

الحضارة الإسلامية الوحيدة التي أقامها دين واحد إلا أنها كانت موجهة لجميع الأديان كما أنها جزء من سلسلة الحضارات المختلفة، وقد قدمت خيارات كثيرة للبشرية في المجالات الاقتصادية والعلمية إضافة إلى التطورات العلمية كما تطرقنا لبحثنا لحياة الإقتصادية للعصرين الذهبيين الأموي والعباسي حيث كان الإقتصاد مزدهرا واهتمامهم الكبير للزراعة و الصناعة.

¹ - محمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص: 99-100.

أسئلة الفصل الرابع:

- ما هي توجهات الإقتصاد العالمي حاليا في ظل الإجراءات الحمائية للتجارة في الولايات المتحدة و"بريكست" في الإتحاد الأوروبي؟

- قارن بين الأنظمة الإقتصادية الثلاثة؟

الفصل الخامس: الأزمات الاقتصادية

تتحدد المفاهيم المتعلقة بالأزمات وفقاً للبعد الذي تتناوله هذه المفاهيم، نظر الارتباط مفهوم الأزمة بأكثر من بعد، منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو ثقافي ومنها ما هو اقتصادي، كما يختلف الإطار الذي تشمله الأزمة وحدودها، فمنها ما يتعلق بالأزمات الداخلية التي تلقي بآثارها على النظام الداخلي للدولة، ومنها ما يتسع نطاقه ليلقي بتأثيره على النظام الدولي برمته، وبذلك يتسع المفهوم ليشمل الأزمات الداخلية وينتهي بالأزمات الدولية. وسنعرض في هذا المحور مجموعة من الأزمات التي عرفها التاريخ الاقتصادي على سبيل المثال لا الحصر.

المبحث الأول: ماهية الأزمات الاقتصادية

تشكل المفاهيم الأساسية إحدى الأدوات المساعدة للولوج إلى صلب المشكلة، من هنا ارتأينا التطرق لمختلف المفاهيم ذات الصلة بالأزمة الاقتصادية، ندرس من خلاله الإطار المفاهيمي للأزمات المالية والاقتصادية، مع الإشارة إلى أسباب الأزمات المالية.

المطلب الأول: مفهوم الأزمات الاقتصادية

يستخدم مصطلح الأزمة في عدة مجالات سياسية، اجتماعية واقتصادية، ومن أجل التعرف على المعاني التي تستعمل فيها هذه المفردة، سيتم التعرف على أبرز الميادين التي توظف فيها كلمة أزمة، وشرح معناها بالتفصيل في المجال الاقتصادي.

الفرع الأول: الأزمة كمصطلح

ترجع الأصول التاريخية لكلمة أزمة إلى الطب الإغريقي القديم حيث كانت تستخدم للإشارة إلى نقطة تحول هامة أو لحظات اتخاذ قرار مصيري في حياة المريض تؤدي إما لشفائه أو وفاته، استخدم هذا المصطلح بكثرة في القرن السادس عشر في المعاجم الطبية، وتم اقتباسه في القرن السابع عشر للدلالة على ارتفاع درجة التوتر في العلاقات بين الدولة والكنيسة.

وبحلول القرن التاسع عشر تواتر استخدامه للدلالة على ظهور مشكلات خطيرة أو لحظات تحول فاصلة في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ثم استعار كارل ماركس المصطلح في كتاباته عن الحتمية التاريخية للإشارة إلى أزمات الإفراط في الإنتاج، وقد تداول هذا المصطلح مختلف فروع العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية والإعلامية وغيرها.¹

¹ -عباس رشدي العمري، إدارة الأزمات في عالم متغير، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر، 1993، ص: 17-18.

جاء في لسان العرب تأزم عليهم العام والدهور يأزم أزما وأزوما: اشتد قحطه، وهي في قاموس ويبستر نقطة تحول يحدث عندها تغير إلى الأفضل أو الأسوأ، وفي لحظة حاسمة أو وقت عصيب. ويقصد بالأزمة من الناحية الاجتماعية توقف الحوادث المنتظمة والمتوقعة واضطراب العادات والعرف مما يستلزم التغيير السريع لإعادة التوازن وتكوين عادات جديدة أكثر ملاءمة، ويقصد بها أيضا الخلل الناتج عن المرحلة الحرجة التي تواجه المنظومة الاجتماعية، أو الناتج عن توقف بعض الوظائف الحيوية لهذه المنظومة أو كله، يرافقها تطور سريع في الأحداث، يسفر عنه عدم استقرار النظام الأساسي لهذه المنظومة، ويدفع سلطة اتخاذ القرار فيها إلى ضرورة التدخل السريع لنجدها، وإعادة توازن النظام¹.

تعتبر الأزمة في المفهوم السياسي عن الموقف الذي يؤدي إلى استخدام القوة العسكرية في المواجهة أو التوصل إلى حل بين الأطراف، وهي عبارة عن تداعي سلسلة من التفاعلات يترتب عليها نشوء موقف ينطوي على تهديد مباشر للقيم والمصالح الجوهرية للدولة.²

تعد الأزمة الاقتصادية من أكثر المصطلحات تداولاً في المجال الاقتصادي تنطوي بحكم طبيعتها على جوانب متشابكة ومعقدة، فتشير إلى اضطراب في الحالة الاقتصادية العادية أي في التوازن الاقتصادي، وتعرف الأدبيات الماركسية الأزمة بوصفها فترات اضطراب عنيفة واختلالات اقتصادية حادة تقطع سير عملية الإنتاج الرأسمالي الموسع التي تظهر الفرق الشاسع بين مستوى الإنتاج ومستوى الطلب المحقق، وقد وصف أنجلز فريدريك الحالة التي تحدثها الأزمة الاقتصادية مشيراً إلى توقف التجارة، وازدحام الأسواق، وتراكم البضائع بكميات هائلة، واختفاء النقد السائل وعمليات الإقراض، وإلى توقف المصانع وانخفاض مستويات المعيشة، فنتتالي الإفلاسات وعمليات البيع القسري. ويستمر هذا الانسداد لعدة سنوات، فتتراجع القوى المنتجة والمنتجات إجمالاً، حتى الوقت الذي تمتص فيه السوق فائض البضائع المتراكمة ويستعيد فيه الإنتاج والتبادل مسيرتهما بالتدريج.³

¹ - إبراهيم عبد العزيز النجار، الأزمة المالية وإصلاح النظام المالي العالمي، الدار الجامعية، مصر، 2009، ص: 18

² - محمد الصيرفي، إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية والتوزيع، مصر، 2007، ص: 414.

³ - محمد لخضر بن حسين، الأزمات الاقتصادية - فعلها ووظائفها في البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان النامية - ترجمة أحمين شفير، المعهد الوطني للثقافة العمالية وبحوث العمل، الجزائر، 1995، ص: 11.

وتشير الأزمة في نظر كينز إلى الاختلال في التوازن الاقتصادي الكامن في عمليات البيع والشراء التي تتم على المدى البعيد أو القصير وبصفة أخص الأسواق الآجلة، حيث لا يتحكم المتعاملون الاقتصاديون في معطيات السوق كالأسعار، والتي تؤثر على نفسية المتعاملين الاقتصاديين وعلى حساباتهم وتخميناتهم، مما يؤثر على حركة الاستثمارات وهذا ما يؤكد حالة الاختلال في التوازن الاقتصادي. وللمحد من هذا التدهور الاقتصادي، يجب الحد قدر الإمكان من العناصر التي تشجع التخمينات مثل التوقعات الإحصائية المثلى التي تقام على أساس المعطيات المتوفرة، أي يجب ترك العملية الاقتصادية تتحرك بعفوية أكثر، وهذا من أجل السماح لحركة الاستثمار أن تتم دون توقف أو انقطاع، وألا تتسع الهوة بين العرض والطلب إذا كانت مستويات الأسعار وأسعار الفائدة لا تسمح للعلاقة بين الادخار والاستثمار أن تعمل بصفة عادية دون انقطاع.¹

أما كينز فركز على الأدوات الاقتصادية كالادخار، الاستثمار وأسعار الفائدة، إلا أنهما يشيران إلى وجود اختلال وانقطاعات بين فترات هامة من العمليات الاقتصادية عندما تمسها الأزمة. والأزمة الاقتصادية هي بتعبير آخر فقدان التوازن بين العرض والطلب على السلع والخدمات يؤدي إلى تدهور الوضعية الاقتصادية، ومن المظاهر الأكثر حدة هو انهيار الإنتاج أو انخفاض كبير في معدلات نموه. ويحيل مصطلح الأزمة كذلك إلى لحظة تراجع الظروف الاقتصادية، فترة الانتقال من مرحلة التوسع أو الازدهار المدعم إلى مرحلة الكساد أو تقلص طويل نسبيا تؤدي إلى بروز شروط الرجوع من جديد للازدهار الاقتصادي، أي الرجوع العكسي للوضعية الاقتصادية، وتشير الأزمة أيضا إلى تعاقب الظروف التوسعية والظروف الانكماشية، والواقع أنه لا يمكن تحديد الأزمات وملاحظتها في حد ذاتها دون الإحالة للتقلبات الاقتصادية المندرجة في إطارها، فهذه الأخيرة تمثل إحدى معالم النظام الاقتصادي الذي يعتمد على قوانين السوق والمنافسة، كما تنعكس على عناصر النشاط الاقتصادي، وتحدث خلا في إحدى أو جميع عناصر هذا النشاط.²

¹ - محمد لخضر بن حسين، مرجع سابق، ص: 12.

² - Frederic Teulon, Croissance, crises et développement, Presse universitaire de France, Paris, 6 Edition, 2001, p : 35.

ومن أجل التحديد الدقيق للتعريف السابقة يجب أن نفرق بين أهم المصطلحات التالية:

- الركود: يشير المصطلح إلى تراجع النشاط الاقتصادي، علما أن الفترات قصيرة التراجع لا تعتبر ركودا، وفي هذا المجال يعرف المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية *NEBR الركود بأنه فترة تراجع كبير في النشاط الاقتصادي، يستغرق فترة أطول، ويتجلى ذلك عادة في الإنتاج، التشغيل، الدخل الحقيقي ومؤشرات أخرى، يبدأ الركود عندما يصل الاقتصاد إلى ذروة النشاط وينتهي عندما يصل إلى النقطة الدنيا في ذروته.

-الكساد: يعبر الكساد عن أقصى درجات الركود، حيث تتجاوز نسبة التراجع في الناتج المحلي الإجمالي 10%¹

الفرع الثاني: تعريف الأزمات المالية

تعتبر الأزمة عن تلك التذبذبات التي تؤثر كليا أو جزئيا على مجمل المتغيرات المالية، حجم الإصدار²، أسعار الأسهم والسندات، وكذلك الإعتمادات البنكية، ومعدل الصرف، ويعرفها فريديريك مينشكن بأنها اختلال غير خطي في الأسواق المالية بحيث تتفاقم فيها مشكلات الاختيار المعاكس والمخاطر المعنوية، فتصبح الأسواق غير كفؤة، بمعنى تدني قدرتها على أداء أدوارها كقناة لتمويل المستثمرين وهو ما قد يؤدي إلى حدوث انكماش حاد في النشاط الاقتصادي، والمقصود بمشكلات الاختيار المعاكس، هي المشكلات الناتجة عن تقديم المؤسسات المالية قروض، إلى عملاء ذوي جدارة ائتمانية منخفضة مما قد يؤدي إلى عدم قدرتهم على السداد، أما المخاطر المعنوية فهي تعبر عن الحالة التي يتوفر فيها مقترض ما احتمالية تحويل ديونه إلى عون اقتصادي آخر، وهذا ما يحفزه على الاستثمار في المشاريع عالية المخاطر.³

* عضو المكتب الوطني للأبحاث الاقتصادية NEBR في الولايات المتحدة الأمريكية.

¹ - Bernard Rosier, Les théories des crises économique, Edition la découverte, Paris, 2000, pp 14- 15

² - إبراهيم عبد الله عبد الرؤوف محمد، انعكاسات الأزمة المالية العالمية على الاقتصاد المصري نظرة عامة، المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر حول الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، 1-2 أبريل 2009، ص: 17.

³ - زيدان محمد، حبار عبد الرزاق، دور البنوك المركزية في معالجة الأزمة المالية الراهنة مع إشارة خاصة لدول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مؤتمر الأزمة المالية العالمية الراهنة وانعكاساتها على اقتصاديات دول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الجزائر، ديسمبر 2009، ص: 2.

تشكل أسباب الأزمات المالية إحدى العناصر الأساسية في فهم ودراسة الأزمات المالية ومن ثم الحد منها مستقبلاً، تعددت الاتجاهات والآراء المفسرة لأسباب الأزمات، فهناك من يربطها إلى أخطاء السياسات الإقتصادية الكلية، خاصة فيما يتعلق بتوافق المتغيرات والأساسيات الكلية، وهناك من يرجعها إلى نشاط المضاربين الكبار في الأسواق المالية، بل ثمة من يرجعها إلى وجود مؤامرة من جانب الدول المتقدمة مستهدفة الدول حديثة التصنيع للتخلص من منافستها، أو سلب الدول النفطية الثروات التي تراكمت لديها، والموظفة أساساً في المراكز المالية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن هذه المبررات غير كافية لتفسير تفجر الأزمات، بل هي تنتج من تضافر العديد من العوامل:

- عدم استقرار الاقتصاد الكلي: يمكن التمييز بين أهم العناصر الأربعة التالية:
- تقلبات في شروط التبادل التجاري: يعتبر هذا العنصر أحد أهم المصادر الخارجية للأزمات، حيث تتخفف شروط التجارة، ويواجه عملاء البنوك العاملين بالنشاطات المرتبطة بالتصدير والاستيراد مشكلة عدم القدرة على الوفاء بالتزاماتهم خصوصاً خدمة الديون، ووفقاً لبيانات البنك الدولي فإن حوالي 75% من الدول النامية التي حدثت بها أزمة مالية، عرفت انخفاضاً في شروط التبادل التجاري بحوالي 10% قبل حدوث الأزمة.
- تقلبات أسعار الصرف الحقيقية: يعد أبرز الاضطرابات التي أدت إلى حدوث الأزمات المالية، مثلما تؤكد العديد من الدراسات التي أظهرت أن 22 دولة نامية في أمريكا اللاتينية عرفت اضطرابات في أسعار الصرف الحقيقية الذي كان إحدى آثار ارتفاع الأرباح في قطاع التجارة الخارجية أو ارتفاع أسعار الفائدة المحلية.
- تقلبات في معدل التضخم: يعد عنصراً أساسياً في مقدرة القطاع البنكي على القيام بدور الوساطة المالية وخصوصاً منح القروض وتوفير السيولة.
- اضطرابات القطاع المالي: تشير دراسة أعدها ميشكن 1994، أن انهيار الأوراق المالية بصورة متكررة يعد إحدى الدلالات الظاهرة والقوية التي تسبق حدوث الأزمات المالية. فضلاً عن ذلك يمكن أن نذكر أهم العناصر المميزة للاضطرابات المالية فيما يلي¹:

¹ - ناجي التوني، الأزمات المالية، جسر التنمية، العدد 29، ماي 2004، ص: 08، تاريخ الاطلاع: 2009

- 08-10 http://www.arab-api.org/devbrdg/delivery/develop_bridge29.pdf

- الإرتفاع في معدلات الفائدة: إن زيادة الطلب على القروض أو انخفاض عرض النقد يسبب ارتفاع معدلات الفائدة السوقية، والتي من شأنها التأثير على عمليات الإقراض والاستثمار مما يتسبب في حدوث الأزمات المالية.¹
- ارتفاع عدم اليقين: إن الارتفاع الكبير في عدم اليقين في الأسواق المالية يؤدي إلى حدوث اضطرابات مالية، حيث أن وقوع صدمة سوق الأسهم تجعل من الصعوبة على المقترضين تجنب مخاطر القرض الرديء، ويصبح المقترضون أقل رغبة في الاقتراض، مما يؤدي إلى انخفاض الاستثمار والنشاطات الاقتصادية الأخرى .
- المشاكل في قطاع البنوك: إن تعرض البنوك للذعر البنكي سيؤدي إلى انكماش حاد في النشاطات الاقتصادية وإلى حدوث الأزمة المالية.
- التوسع في الاقتراض المفرط: وتقديم القروض وبالأخص لزيائن ذوي جدارة ائتمانية ضعيفة، وما يزيد من حدة الأزمات في الأوضاع المالية للحكومات هو إفراط تراكم رأس المال النقدي مقارنة برأس المال المنتج، وهي ظاهرة مصحوبة بحركات رأس المال النقدي دوليا.
- وفي الواقع إن التوسع في عمليات الإقراض يؤدي إلى ظهور مشكلة عدم تلاؤم خصوم البنوك خاصة فيما يتعلق بعدم احتفاظها بقدر كاف من السيولة لمواجهة التزاماتها.
- تحرير مالي غير وقائي: إن التحرير المالي غير الحذر وغير الوقائي للسوق المالي بعد فترة كبيرة من التقييد قد يؤدي إلى حدوث الأزمات المالية، وهذا ما حدث في العديد من الدول الناشئة، وعلى سبيل المثال فإن القيام بتحرير أسعار الفائدة قد يفقد البنوك الحماية التي كانت تتمتع بها في ظل تقييد أسعار الفائدة.
- وهكذا يمكن القول إن هناك العديد من الاختلالات المالية التي تجعل الإقتصاد هشاً ومعرضاً للصدمات والهزات من سياسات كلية غير متسقة، إلى بنية مالية ضعيفة، الوضع المالي العالمي، كأسعار الفائدة العالمية أو اختلالات أسعار الصرف حتى عدم الاستقرار السياسي وتذبذب الإقتصاد وعدم استقرار الأسواق.

¹ - ناجي التوني، الأزمات المالية، جسر التنمية، العدد 29، ماي 2004، ص: 08، تاريخ الاطلاع: 2009

08- 10-29.pdf http://www.arab-api.org/devbrdg/delivery/develop_bridge

تقسم الأزمات المالية عادة إلى ثلاثة أصناف ألا وهي: أزمة أسعار الصرف، أزمة أسواق المال والأزمة المصرفية، وهناك من يضيف أزمة الديون والأزمة النظامية.

• الأزمة البنكية: تعبر الأزمة البنكية بشكل عام عن تدهور وضعية البنوك، التي تعتبر ضحية فقدان الثقة المرتبطة بالسيولة أو ملاءة غير كافية، وتعرف على أنها الضائقة المالية التي من شأنها أن تؤدي إلى تآكل معظم أو كل رأسمال النظام البنك، ومن أجل الفهم الدقيق لهذه الأزمة نميز بين مصطلحي الأزمة البنكية الذي هو عبارة عن امتداد أزمة سيولة الناتجة عن الزيادة الكبيرة والمفاجئة في طلب سحب الودائع لدى بنك ما إلى بنوك أخرى، ومصطلح أزمة ندرة القروض الحالة التي ترفض فيها البنوك منح القروض رغم توفرها على الودائع خوفا من عدم قدرتها على الوفاء بطلبات السحب.¹

والحقيقة أن ما يميز هذه الأزمة هو صعوبة تحديد فترة حدوثها، شدتها واتساع رقعتها، رغم توفر البيانات والمعطيات حول الودائع وشدة استنزافها خاصة في الدول المتقدمة (في العقود الأخيرة) حيث مصاعب النظام البنكي لم تكن متصلة بالودائع، وهكذا فإن معظم هذه الأزمات البنكية لم تنشأ من جانب الخصوم، بل كان سحب الودائع نتيجة الأزمة. على غرار الدول النامية التي عرفت شيوعا لعمليات سحب الودائع كالفلبين، الأرجنتين، تركيا، تايلاندي والأوروغواي . كما قد تنتج عن مواجهة أصول المصارف لبعض المصاعب كأن تتدهور نوعية الأصول أو عدم سهولة الحصول على هذه المعلومات في الدول النامية أو اعتبارها كمؤشر إنذار مبكر ولتحديد مفهوم الأزمة تستخدم بعض المعايير كتجاوز نسبة القروض غير الكفوءة إلى مجموع القروض نسبة 10%، و تجاوز عملية الإصلاح 2% من الناتج المحلي الإجمالي، أو إذا ترتب عن هذه الحالة تأميم بعض البنوك، أو التسييل الكبير للودائع من قبل المودعين مما يستدعي تدخل السلطات من خلال تجميد الودائع أو إغلاق البنوك أو تعميم تأمين القروض. أما بخصوص الكشف عن هذه الأزمات، فيتم باستعمال المعطيات المالية البنكية (خصوصا أحجام الأصول غير الكفوءة) عند توفر المعطيات من مختلف المصادر (الصحافة، الدراسات)، آراء الخبراء، مؤشرات الذعر (تجميد الودائع، غلق البنوك) أو وجود مخططات إنقاذ حكومية ذات حجم واسع.²

¹ - جودة عبد الخالق، الأزمة المالية العالمية، أزمة نظام لا أزمة سياسات، السياسة الدولية، مطابع الأهرام التجارية، مصر، العدد 175، جانفي

2009، ص: 117

² - بلقاسم العباس، أسباب الأزمة المالية والنماذج المفسرة لها، المعهد العربي للتخطيط، ص: 17-16، تاريخ الاطلاع: 2009-08-10،
<http://www.arab-api.org/course32/pdf/p5629-2.pdf>

• أزمة أسعار الصرف: قبل التطرق لماهية هذه الأزمة يمكن أن نعرف سعر الصرف الذي يعبر عن الوحدات النقدية التي تبدل به وحدة من العملة المحلية إلى عملة أجنبية، فهو بمثابة أداة ربط بين الإقتصاد المحلي وباقي الاقتصاديات، تتعرض عملة ما لأزمة الصرف لما تتعرض قيمتها المعبرة بدلالة عملة مرجعية خلال سنة إلى انخفاض يتجاوز الحدود المعقولة تقدر هذه العتبة على العموم بـ 25%، و يمكن التمييز بين سعر الصرف الثابت والعائم، فالأول يخص تثبيت سعر صرف العملة إلى عملة واحدة، أو سلة من العملات عادة انطلاقا من عملات التجاريين الأساسيين، أو ضمن هوامش محددة، سواء تعلق وفي هذه الحالة التثبيت بعملة واحدة أو بسلة من العملات حيث يتم تحديد مجال التقلب المسموح به. عادة ما تنتهي الأزمة بتخفيض العملة والعملات المتضررة التي كانت ضحية المضاربة على الانخفاض. أما سعر الصرف العائم، الذي يمتاز بالمرونة والقابلية للتعديل، فيمكن أن تعتبر السلطات النقدية الوطنية و الدولية أن التدهور جد كبير، مما يدفعها إلى اتخاذ إجراءات موجهة لإعادة الثقة، واستقرار سعر الصرف كخلق صندوق الإصدار أو توجيهات السياسة الكية . ومن أهم النماذج المفسرة لأسباب نشوء أزمات سعر الصرف، ما طرحته مدرسة الجيل الأول التي تنص على عدم الاتساق بين أساسيات الإقتصاد الكلي وسعر الصرف، حيث تنشأ أزمات الصرف نتيجة ارتفاع في عجز الميزانية الذي يتم تمويله من قبل خلق النقود، وما يترتب عنه ارتفاع القيمة الحقيقية لسعر الصرف وتدهور في ميزان المدفوعات الذي لا يمكن أن يستمر بدون تخفيض شديد في قيمة العملة، وبالتالي يمكن التنبؤ بها.

أما مدرسة الجيل الثاني فتري أن أزمات الصرف ليست متوقعة بالكامل حيث يمكن أن تنشأ نتيجة الإشاعات، ذلك أن المستثمرين لا يملكون معلومات كافية عن الإقتصاد وبالتالي يصبحون أكثر تأثرا بالشائعات وبالأزمات التي تقع في أقطار أخرى، كما تعمل الصدمات الخارجية على تسريع نشوب الأزمات كارتفاع أسعار الفائدة العالمية.¹

• أزمة أسواق المال (حالة الفقاعات): يحدث هذا النوع من الأزمات نتيجة لانهايار أسعار الأصول التي تصل لأدنى مستوياتها، حيث يرافق ذلك حالات من الذعر يمتد أثرها نحو أسعار الأصول الأخرى سواء كانت تنتمي لنفس القطاع أو قطاعات أخرى، وهي ناتجة عن ظاهرة الفقاعة، تعبر

¹ - قدي عبد المجيد، المدخل إلى السياسات الإقتصادية الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص: 115-116.

حالة انهيار الفقاعات المالية وفقا لنموذج واستن وبلانشارد 1982 عن قيام المضاربين بشراء أصل مالي بسعر يفوق قيمته الحقيقية بهدف تحقيق مكاسب رأسمالية في وقت لاحق كما يتوقعون، وأي انحراف في سعر الأصل المالي الأولي يقاس بحجم الفقاعة التي يمكن أن تستمر في النمو محققة مكاسب رأسمالية للمضاربين أو أن تتعرض للإنهيار، أما مصطلح الذعر المالي أو الإضطراب المالي فهو عبارة عن حالة من عدم الاستقرار في الأسواق المالية، يحدث عندما يسحب المقرضون ذات الأجل القصير فجأة قروضهم من مقترض غير قادر على السداد، وقد تترتب عنه خسائر إقتصادية يمكن أن تصل إلى حد توقف المشروعات الإستثمارية وتصفية المقترضين وتسابق المستثمرين إلى استرداد أموالهم. وهذا ما يحدث في الحالات التالية:

- تجاوز حجم القروض قصيرة الأجل حجم الأصول طويلة الأجل.
 - محدودية حجم المؤسسات المالية الخاصة، ومن ثم عدم مقدرتها على الوفاء باحتياجات المستثمرين من القروض قصيرة الأجل.
 - عدم وجود مقرض صاحب قدرات تمويلية وقت الأزمات (مقرض الملاذ الأخير). (ولا يمكن اعتبار انفجار الفقاعة متوقعا أو بعيدا عن الرؤية المستقبلية للمتعاملين في السوق لأنها في حقيقة الأمر على وعي بوجود الفقاعة. ذلك أن المضاربة على الأصول وارتفاع أسعارها يؤدي إلى نمو الفقاعة. ولكي تحدث هذه العملية لا بد من ضخ كمية من القوة الشرائية في السوق تكون كافية لرفع أسعار الأصول، وتستمر العملية إلى أن يدرك المتعاملون في السوق أنه لا يمكن تبرير الأسعار السائدة، فتبدأ عملية التصحيح التي تتحول إلى انفجار.¹
- أزمة المديونية: تحدث الأزمة عند تعثر سداد المقترض أو توقف القطاع العام عن سداد التزاماته تؤدي إلى انخفاض تدفقات رؤوس الأموال الداخلة، وهذا راجعا لمجموعة من الأسباب تشمل الملاءة المالية، أو تساهل إدارة البنوك أو عندما يعتقد المقرضون أنه يمكن مواجهة حالة في منح القروض دوين ضمانات كافية من المقترض، التوقف عن السداد، وبالتالي يتوقفون عن تقديم قروض جديدة، ويحاولون تصفية القروض القائمة.²

كما يمكن أن ترتبط أزمة الديون بدين تجاري (خاص)، أو دين سيادي (عام).

¹ - فريد كورتيل، الأزمة المالية العالمية وأثرها على الإقتصاديات العربية، مؤتمر حول الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من منظور الإقتصاد الغربي والإسلامي، جامعة الجنان، لبنان، 13-14 مارس 2009، ص: 4.

² - عمرو محي الدين، أزمة النمرور الآسايوية-الجذور والآليات والدروس المستفادة-، دار الشروق، مصر، 2000، ص: 93

– الأزمة النظامية: هي الأزمة التي لا تقتصر على قطاع أو مظهر واحد بل تمتد إلى النظام ككل، فهي أزمة عضوية أو أزمة بنيوية تتصف بمجموعة من الخصائص أهمها

• لا يمكن اعتبار حدث محدد كمفجر للأزمة، فهي تتولد في الأسواق المالية أو يتم تضخيمها بواسطة الأسواق المالية، وبصورة أكثر دقة تتولد المخاطر النظامية في عملية التمويل الخارجي والتي تخص الاحتياجات التمويلية للمشروع التي يتم توفيرها بواسطة مستثمرين خارج المشروع فضلاً عن هذا فهي تنطوي على عنصر العدوى. وتعرف تكلفة مالية عالية جداً متمثلة في انخفاض الإنتاج وتراجع الكفاءة الاقتصادية، ولا يمكن اعتبار انهيار سوق الأسهم التي لا تؤثر على مستوى النشاط الاقتصادي بأزمة نظامية، حيث أن هذه الأخيرة تتعدى آثارها على المتعاملين في البورصة، وتمس حتى الأفراد العاديين، كما أن أضرارها لا تقتصر على المتعاملين والشركات والمشروعات التي أشهرت إفلاسها بل تمتد الأضرار إلى خارج دائرة المتعاملين مع المشروعات المعنية.

– الأزمات المزدوجة: يقال عن أزمة مالية أنها أزمة مزدوجة عند حدوث أزميتين: بنكية وأزمة الصرف في آن واحد، تتجلى هذه الأزمات عن طريق الجمع ما بين المضاربة القوية ضد عملة وطنية وموجة من الخسائر البنكية، أما النماذج المفسرة لها فهي متعددة: يرى فيق ورينهارت Reinhart et Végh 1996 أن لأزمة الصرف والأزمة البنكية نفس الأسباب، وقد كان برنامج التعديل الهيكلي بالنسبة للبلدان الناشئة هو السبب المشترك للأزمة، فنجاح هذا الأخير يؤدي إلى ازدهار مفرط، ويولد ضغوطات على العجز التجاري، وارتفاع المديونية الخارجية، مما يؤدي إلى انطلاق الهجوم المضارب ضد عملة، وبهذا تكون الأزمة البنكية الناتج غير المباشر، فتشهد حركة هروب رؤوس الأموال وينهار سوق الصرف.¹

المطلب الثاني: مؤشرات الأزمة الاقتصادية

تتوفر العديد من المتغيرات والمؤشرات الدالة على قرب وقوع الأزمات منها ما هو مرتبط بالسياسات الاقتصادية، ومنها ما هو مرتبط بالخصائص الهيكلية للأسواق المالية.

– المؤشرات المتصلة بالسياسات الاقتصادية الكلية:

¹ – ثريا الخزرجي، الأزمة المالية العالمية الراهنة وأثرها في الاقتصاديات العربية التحديات وسبل المواجهة، المؤتمر العلمي الثالث الأزمة المالية العالمية وانعكاساتها على اقتصاديات الدول، التحديات والآفاق المستقبلية، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الإسراء الخاصة وبالإشتراك مع كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، 28-29/04/2009، ص: 07.

- انخفاض قيمة الإحتياطي النقدي من العملات
 - الإرتفاع في معدلات البطالة وارتفاع معدلات الفائدة على الودائع والقروض المحلية.
 - ارتفاع الرقم القياسي للعجز في الحسابات الجارية إلى إجمالي الناتج المحلي الإجمالي.
 - ارتفاع معدل التضخم، ومعدلات الأسعار والأرباح، وانخفاض معدلات النمو الإقتصادي
 - ارتفاع نسبة القروض غير المنتجة إلى إجمالي القروض .
 - تراجع التدفقات النقدية الواردة، تزايد التدفقات النقدية العكسية، وتزايد عجز الموازين الخارجية.
- المؤشرات المتعلقة بالخصائص الهيكلية للأسواق المالية:
- سيطرة الأصول المالية عالية المخاطر على أسواق القرض .
 - تسرب الضعف إلى الجهاز الإداري المكلف بالإشراف على أسواق المال وقطاعات البنوك
 - غياب الشفافية والإفصاح اللتان يستلزمهما التطبيق السليم لمعايير المحاسبة الدولية، عند عرض القوائم المالية للمؤسسات الإقتصادية، مما يحجب عن المستثمرين الظروف التي تساعد على تقييم أصول هذه المؤسسات، وبالتالي أسواق المال وقطاعات البنوك بصورتها الحقيقية.
 - ارتفاع حجم الديون قصيرة الأجل، وسهولة دخولها وخروجها من الدولة، مما يؤثر سلبا على ملاءة المؤسسات المالية، ويساهم في عرقلة قطاع البنوك عن أداء وظائفها التمويلية. سيطرة بعض المؤسسات على سوق الأسهم مما يسهل عليها عملية التحكم فيه، والرقابة على دخول السوق والخروج منه، فضلا عن انخفاض الإكتتاب فيه¹.

¹ -عبد الحكيم مصطفى الشرقاوي، العولمة المالية وإمكانات التحكم في عدوى الأزمات المالية، دار الفكر الجامعي، مصر 2003، ص 30.

المبحث الثاني: أهم الأزمات الإقتصادية

عرف التاريخ الإقتصادي عدة أزمات تفاوتت حدتها وتعددت أسبابها، في هذا المطلب سنذكر بعضها.

المطلب الأول: الأزمات الإقتصادية قبل الألفية الثالثة

-الأزمة الإقتصادية ل 1929 م:

وهي أعنف أزمة سميت بأزمة الكساد الكبير، حيث هبطت أسعار الأسهم في سوق المال الأمريكية ثم امتدت إلى الجانب الحقيقي للاقتصاد الأمريكي ثم اجتاحت معظم دول العالم، وتميزت بما يلي:

- زعزعة الإستقرار النسبي في النظام الرأسمالي بكامله؛
- الإنخفاض الشديد في الإستهلاك الكلي؛
- انخفاض الاستثمارات من جانب القطاع الإنتاجي؛
- التقلبات الحادة في أسعار الصرف والعملات مما نتج عنه انهيار النظام الذهبي؛
- فقدان شرعية القروض الأساسية للنظام الإقتصادي الكلاسيكي المعروف بـ "دعه يعمل دعه يمر"؛

-قيام الإقتصاديين في الغرب بالبحث عن حلول لمشكلات الاقتصاد الحر؛

-وظهرت النظرية الكينزية لتؤكد على ضرورة تدخل الدولة في الحياة الإقتصادية.

تركت الأزمة الإقتصادية الكبرى تأثيرا كبيرا في الأنظمة الرأسمالية، فقد تحول النظام الرأسمالي الحر إلى نظام رأسمالي موجه، وخضعت بعض القطاعات الحيوية كشركة إنتاج الفحم الإنجليزي وشركة المترو الفرنسية لنظام التأمين، كما تدخلت الدولة لتوجيه الصناعيين والمزارعين والمستثمرين وتوعيتهم.

-أسهمت الأزمة في وصول الأنظمة الدكتاتورية إلى السلطة في بعض البلدان كالنازية في ألمانيا، وأغلقت أسواق كثيرة في وجه التجارة الدولية وتوقف التبادل التجاري واتبعت دول كثيرة سياسة الاكتفاء الذاتي مثل: النظام الفاشي في إيطاليا و النازي في ألمانيا.

-قوة النظام الشيوعي الذي لم يتأثر بأزمة النظام الرأسمالي¹.

¹ -نزيرة الأفندي، الأزمات المالية: رؤية مقارنة، السياسة الدولية، مطابع الأهرام التجارية، مصر، العدد 175، جانفي 2009، ص 158.

لم يبدأ الإنتعاش في الولايات المتحدة الأمريكية إلا عام 1933 م مع سياسة العهد الجديد التي وضعها الرئيس فرانكلين روزفلت، حيث نصت سياسة العهد على وضع حلول الأزمة المصرفية عام 1933م وإعادة فتح البنوك وإصدار قوانين عام 1933 و 1935 التي تمنع البنوك من التعامل بالأسهم والسندات، وكذلك إنشاء مؤسسات لرعاية ضحايا الأزمة، وتصحيح استخدام الأوراق المالية، من خلال إنشاء لجنة تبادل الأوراق المالية عام 1954 م.

-أزمة وول ستريت ل 1987 م:

من أهم أسباب حدوثها:

- أسباب تتعلق بكفاءة السوق:
 - التفسيرات المتناقضة التي تتعلق بكفاءة السوق؛
 - تنوع الأصول المتعامل بها؛
 - نشاط السوق المالية الدولية بشكل ملحوظ؛
 - ضخامة الصفقات المتداولة في الأسواق المالية العالمية؛
 - استخدام أحدث الأساليب في الاتصال، وأكثر التقنيات تطوراً في إدارة الأنشطة والعمليات
- ساعد في سرعة انتشار الأزمات؛

- قوة الأسواق المالية فيما بينها.

- أسباب أخرى:

- تدهور سعر الدولار الأمريكي أمام العملات الرئيسية؛
- رفع أسعار الفائدة بسبب استمرار العجز في الموازنة الأمريكية، مما أدى إلى انخفاض الطلب
- على الأسهم و هبوط أسعارها.
- استمرار العجز في الموازنة الأمريكية مما أدى إلى فقدان الثقة بالحكومة.

-أزمة المكسيك ل 1994 م:

حدثت أزمة المكسيك سنة 1994 م نتيجة عجز العمليات الجارية في ميزان المدفوعات التي أدت إلى عجز المكسيك عن سداد ديونها الخارجية، مما نتج عنه انخفاض أسعار " صرف العملة الوطنية " البيزو "بنسبة 40% في سنة 2009 م مقارنة بسنة 1994 م¹.

¹ -صلاح الدين حسن السيبي، الأسواق المالية، الأزمات المالية العالمية (الأسباب-التداعيات- سبل المواجهة) في ظل منظمة التجارة العالمية وتحرير الخدمات المالية، دار الفكر العربي، مصر، 2008، ص 270

- تعود الأسباب الرئيسية لتفاقم أزمة سعر الصرف المكسيكي إلى النقاط التالية:
- ارتفاع أسعار الفائدة وإدارة الدين الحكومي قصير الأجل، و التوسع في منح الائتمان من قبل البنوك، هي من أهم الأسباب المؤدية لحدوث أزمة المكسيك والتي دفعت بالحكومة المكسيكية على انتهاج سياسة نقدية للمحافظة على استقرار العملة.
 - إلغاء قيود تحويل العملة الوطنية وتطبيق نظام التقييم الكامل وفتح أسواق المال على مصرعيها للاستثمار الأجنبي.
 - منح قروض للقطاع الخاص دون ضمانات كافية.
 - كثرة تدفق رؤوس الأموال نحو هذه البلدان بسبب النمو الإقتصادي المرتفع والاستقرار السياسي، وإلغاء أوجه الرقابة على حركة رؤوس الأموال.
 - التوسع في استيراد السلع التي يعتقد أن أسعارها سترتفع فيما بعد، وهذا الارتفاع ناتج عن المغالاة في تقييد عملة "البيزو".

المطلب الثاني: أزمة الرهن العقاري ل 2008 م

- يمكن تشخيص الأزمة المالية العالمية ل 2008 في النقاط التالية :
- 1-قدمت المؤسسات المالية قروضا هائلة، حيث أن المجتمع الأمريكي مجتمع قائم في جوهره على الاقتراض، فإذا أراد أي مواطن أمريكي أن يشتري منزلا أو جهاز تلفزيون أو سيارة، فليس هناك أدنى صعوبة في الحصول على هذه الأشياء، حتى ولو لم يتوفر له المال اللازم لشرائها.
 - يكفي في هذه الحالة اللجوء إلى مؤسسات التمويل، حيث بلغت قروض التمويل العقاري حوالي 11 تريليون دولار لشراء المنازل، كما قدمت مبلغا مماثلا بصفة قروض استهلاكية بموجب بطاقات الائتمان، ويكفي في هذه الحالة بطاقة الائتمان لديه لكي يشتري ما يريد .فالعائلة الواحدة في الولايات المتحدة الأمريكية تملك 13 بطاقة ائتمان، 40% منها لشراء السلع، ومع ازدياد الرغبات في الاقتناء ازدادت الديون العائلية، فبلغت 680 مليار دولار عام 1974 م حتى وصلت حاليا إلى 14 تريليون دولار، ولا شك أن هذا الرقم الأخير ينبئ إلى أي مدى يعتمد الأمريكيون على الاقتراض.
 - 2-ضمانات القروض والتقييد وفقا لأسعار السوق وطلب هامش ضمان، حيث وجد المصرفيون طرقا تساعد برهن القروض التي يقدمونها بضمانات عينية، يمكنهم من خلال تلك العملية إقراض النقود¹

¹ - محمد محمود المكاوي، الأزمات الاقتصادية العالمية، دار الفكر والقانون، مصر، 2012، ص: 123-124.

ولكن في المقابل يتحكمون في أصل له قيمة موازية للقرض لتأمين القرض، وفي حالة عجز المقترض عن سداد القرض، يقوم البنك ببيع تلك الأموال لسداد القرض. تولد عن عملية الإقراض بضمانات عينية تلك إحدى القوى الرئيسية التي تسببت في زعزعة استقرار الأسواق المالية، فالمقترضون الذين تراجع قيمة أصولهم بالفعل ربما لا يكون لديهم أي ضمانات إضافية لتقديمها للبنك، هنا يقرر البنك بيع أصولهم في سوق يعاني من التراجع، ربما يتسبب بكل بساطة في تفاقم خسائر المقترض والبنوك على حد سواء، وهذه هي بالضبط القوة المزعزعة للاستقرار التي تسببت في أثناء الأزمة الائتمانية الحالية في انهيار معظم صناديق التحوط الكبيرة المدعومة بقروض.

3- قامت المؤسسات المالية ببيع هذه القروض إلى شركات التوريق وإعادة إقراض ما حصلت في تمويل عقاري جديد، حيث قامت بتحويل القروض وأدوات الديون غير السائلة إلى أوراق مالية سائلة "أسهم وسندات" قابلة للتداول في أسواق المال، وهي أوراق مالية ذات تدفقات نقدية متوقعة، ولا تستند إلى مجرد القدرة المتوقعة للمدين على السداد من خلال التزامه العام بالوفاء.

4- قامت شركات التوريق بإصدار سندات بقيمة هذه القروض وطرحها في أسواق المال وتم تداولها بإعادة بيعها للآخرين، ومنهم إلى غيرهم في تيارات متتالية، وذلك بأسعار أكثر من قيمتها الاسمية. في المقابل، قام المقترضون أصحاب المنازل بإعادة رهن العقارات بعد تقويمها بمبالغ أكثر من قيمتها الأصلية والحصول على قرض من مؤسسات أخرى.

تسعى الجهود الدولية إلى العمل دون تكرار الأزمة المالية العالمية المعاصرة والبحث عن سبل علاجها نهائياً، وفي سبيل ذلك اتخذت عدة إجراءات مالية وتنظيمية ونلخص فيما يلي أساليب مواجهة الأزمة المالية العالمية المعاصرة من خلال العناصر التالية:

التخفيضات المتتابعة في أسعار الفائدة: قررت البنوك المركزية في معظم دول العالم -خاصة الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي واليابان - تخفيض أسعار الفائدة بها، حتى تساهم في خلق الطلب على الودائع، وتساعد في تنشيط حركة الائتمان، وكذلك من أجل بث الثقة لدى البنوك في علاقة كل منها لمنع حدوث الكساد.

-التأمين وضخ الأموال: اتجهت بعض الدول المتضررة من الأزمة المالية العالمية المعاصرة إلى تأمين بعض المؤسسات التي لحقت بها خسائر كبيرة، كما لجأت إلى إعداد خطط مالية من أجل ضخ الأموال في الأسواق، وذلك كمحاولة للحد من تفاقم الأزمة وإيقاد مؤسسات عملاقة من الإفلاس¹.

¹ - محمد محمود المكاوي، مرجع سابق، ص: 125.

-تأمين الودائع البنكية :إن وجود خطة لتأمين الودائع يعد مطلباً حيوياً لضمان استقرار النظام المصرفي ومنع حدوث الأزمات ذاتية المنشأ، نتيجة تدافع المودعين - في ظل الأزمات المالية -لـسحب ودائعهم حتى قبل إعلان البنك إفلاسه لعدم تأكدهم من سلامة مركز البنك ومدى قدرته على ضمان ودائعهم، مما قد يمثل تهديداً للنظام المصرفي. لذا اتجهت البنوك المركزية في دول العالم إلى ضمان ودائع العملاء لتحفيز الأسواق، وللمحد من مخاطر انهيار النظام المصرفي، وضمان تدفق الأموال من المودعين.

-الإصلاحات التنظيمية :كشفت الأزمة المالية العالمية المعاصرة مدى الحاجة إلى الإصلاحات التنظيمية لضبط النشاط الاقتصادي، لذا أخذ وزراء المالية للاتحاد الأوروبي يشجعون المفوضية الأوروبية والهيئات التنظيمية الوطنية على الاتفاق حول قواعد أكثر صرامة لمنع تكرار الأزمة من جهة، ولتحقيق مزيد من الشفافية من جهة ثانية، ولتشدّد ضوابط الإقراض من جهة أخرى.

-البدائل المالية الإسلامية كأداة للحيلولة دون وقوع أزمات: لقد دعا البعض إلى ضرورة تبني النظام الاقتصادي الإسلامي كبديل للنظام الاقتصادي العالمي، واتجهت الجهود الدولية للحيلولة دون تفاقم الأزمة المالية العالمية المعاصرة من تخفيض سعر الفائدة - وصل في بعض الدول إلى الصفر أو يقارب الصفر - وتدخل الدولة لحماية الإقتصاد بضخ الأموال والتأمين وضمان الودائع و الرقابة على الأسواق. إن حدوث الأزمة المالية 2008 أعاد تدخل الدولة في الإقتصاد بعدما كانت خارجة عن السوق، ودورها كان مصححاً للوضع عن طريق إصدار ديون عمومية وسندات عمومية وضمان الديون وضخ سيولة نقدية في البنوك ، كما أن هذه الأزمة فتحت المجال للتوجه في دراسة وتجربة النظام المصرفي الإسلامي الذي يتوقع أن يكون سائداً في البنوك في الاقتصاديات الرأسمالية.¹

سؤال الفصل الخامس:

-ما هو الفرق بين الأزمة الاقتصادية التي تكلم عنها المقرري في العصور الوسطى والأزمة الاقتصادية ل 1929 م والتي عالجها كينز؟
-قارن بين أزمة 1929 و 2008؟

¹ - سارة عماد الدين غيث، الأزمة المالية العالمية المعاصرة من منظور إسلامي وتأثيرها على الإقتصاديات العربية، دار النهضة العربية، 2012

الفصل السادس: نماذج عن اقتصاديات بعض الدول

في الفصل الرابع تطرقنا إلى مختلف الأنظمة المذكورة في الفكر الإقتصادي، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى بعض النماذج الواقعية التي طبقت هذه الأنظمة، وهذا من خلال مباحث ومطالب متسلسلة الترتيب.

المبحث الأول: نماذج عن الإقتصاد الرأسمالي

تبنى علماء الفكر الاقتصادي وعلماء الاجتماع عدة أشكال من تطبيقات الرأسمالية، يذكر منها: رأسمالية السوق الحر، ورأسمالية الرفاهية، ورأسمالية الدولة، علاوة على ذلك، تتفاوت ضمن الأشكال المختلفة من الرأسمالية درجات التنافس في الأسواق، ودور تدخل الدولة وفرضها القوانين، والمدى الذي تشمله ملكية الدولة، لذا تعتبر معظم الإقتصاديات الرأسمالية الحالية اقتصاديات مختلطة تجمع بين عناصر من الأسواق الحرة وتدخل الدولة الذي يتجلى في بعض حالات التخطيط الاقتصادي .

المجتمعات الرأسمالية المعاصرة تتسم بإضفاء طابع العالمية على العلاقات الاجتماعية القائمة على أساس النقود، ونمى هذا النظام في أوروبا الغربية في عملية تمخض عنها نشوء الثورة الصناعية كما أشرنا في الفصل الثالث. منذ ذلك الحين، أصبحت الأنظمة الرأسمالية سائدة في العالم الغربي، وما زالت آخذة في الانتشار مع مرور الوقت.

لذا سنتطرق في هذا المبحث إلى عدة نماذج لاقتصاديات رأسمالية مثل الولايات المتحدة، الإتحاد الأوروبي، اليابان.

المطلب الأول: نبذة عن الإقتصاد الأمريكي

تتعدد ثروات الولايات المتحدة الأمريكية لاتساع مساحتها وتنوع طبيعتها، وسنذكر في هذا المطلب كل من الثروات والخصائص البشرية والخصائص الاقتصادية.

الفرع الأول: الثروات والخصائص البشرية

تتميز أمريكا بما يلي:

- الثروات الطاقوية والمعدنية: تصنف أمريكا من الدول الهامة المنتجة لمصادر الطاقة (الفحم، البترول والغاز الطبيعي) وللمعادن خاصة الحديد والفوسفات والنحاس والرصاص، ورغم ذلك تلجأ إلى الاستيراد نظرا لعدم كفاية ما تنتجه لتغطية حاجاتها الإنتاجية.
- الخصائص البشرية: انتقل عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية من أربعة ملايين نسمة سنة 1776 (تاريخ تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية) إلى 331 مليون نسمة منتصف سنة 2020 وفقا لإحصائيات الأمم المتحدة، ويفسر هذا التطور السكاني الكبير باستقبال ملايين المهاجرين خاصة من أوروبا وإفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية. أدى توافد المهاجرين إلى التنوع العرقي مما نوع الثقافة الأمريكية وبالتالي ما تفرزه من إنتاج. ترتفع الكثافة السكانية في المنطقة الشرقية والساحل الغربي بسبب ملائمة الظروف الطبيعية وأهمية النشاط الاقتصادي، في المقابل فالكثافة السكانية ضعيفة في الغرب الداخلي أمام قساوة الظروف الطبيعية وضعف النشاط الاقتصادي.

الفرع الثاني: الخصائص الاقتصادية

- الطبيعة الجغرافية والبشرية للولايات المتحدة الأمريكية أعطتها فرص إقتصادية كثيرة منها:
- التنظيم الإقتصادي: يتخذ التركيز الرأسمالي شكلين رئيسيين هما:
 - التركيز الأفقي : اندماج الشركات المتشابهة التخصص.
 - التركيز العمودي : اندماج الشركات ذات التخصصات المتكاملة.
- مما أدى إلى ظهور المؤسسات الاقتصادية العملاقة والتي يمكن تحديدها على النحو الآتي:
 - الترس Trust شركة متخصصة في إنتاج مادة معينة.
 - الهولدينغ Holding أو شركة التملك : مؤسسة مالية تساهم بشكل رئيسي في رأسمال عدة شركات.
 - التجمع الصناعي: هي تجمع لشركات صناعية مختلفة التخصصات دون أن يصل إنتاج كل واحد منها مستوى الاحتكار.
- كما نلمس تضافر للجهود بين الحكومة والقطاع الخاص والجامعات والمعاهد العليا في مجال البحث العلمي والتكنولوجي وذلك لمواكبة متطلبات السوق وللحفاظ على تفوق الاقتصاد الأمريكي.¹
- هناك عدة صور لتفوق الإقتصاد الأمريكي نذكر منها:

¹-نظرة على الإقتصاد الأمريكي، موقع: https://www.bea.gov/newsreleases/national/gdp/2014/gdp2q14_adv.htm، تاريخ الإطلاع: 2020/08/03، على الساعة 10:00

• النشاط الفلاحي: نتيجة لكبر مساحة الولايات المتحدة الأمريكية تنوعت تضاريس ومناخ البلاد مما ساعد على تنوع المنتج الفلاح، حيث تساهم الولايات المتحدة الأمريكية بحصص مرتفعة من الإنتاج العالمي للحبوب (خاصة القمح، الذرة، الأرز) والمزروعات الصناعية (من بينها الصوجا والقطن والشمندر السكري) وبعض أنواع الخضر والفواكه. وتمتلك قطاعا مهما من المواشي في طليعته الأبقار. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أول مصدر للمنتجات الفلاحية وخاصة الذرة والصوجا والقطن والقمح. تتركز النشاط الفلاحي الأمريكي في السهول الوسطى التي تعتبر أكبر مجال فلاح في العالم، فضلا عن المناطق الساحلية الجنوبية والشرقية والغربية. في المقابل فالفلاحة ضعيفة في الغرب الداخلي، تفسر قوة الفلاحة الأمريكية بعدة عوامل من بينها:

-ظروف طبيعية ملائمة على العموم والاعتماد على تقنيات وأساليب حديثة.

-دعم الدولة للقطاع الفلاحي وتوفيرها للتجهيزات الأساسية مثل السدود

-الانتقال من الزراعة الوحيدة الإنتاج إلى الزراعة بالتناوب.

-تبادل التأثير بين الفلاحة من جهة، والصناعة والتجارة والخدمات من جهة ثانية. وهذا ما يعرف باسم

أكريبنيس. Agribusiness.

• النشاط الصناعي: تعد الولايات المتحدة الأمريكية القوة الصناعية الأولى في العالم حيث تساهم بحصص مرتفعة من الإنتاج العالمي لعدة صناعات من بينها صناعة السيارات والصلب والألومنيوم وصناعة الطائرات ومعدات غزو الفضاء بالإضافة إلى الصناعة الكيماوية والصناعة الإلكترونية والمعلوماتية. تضم الولايات المتحدة الأمريكية مناطق صناعية رئيسية يمكن تحديدها على الشكل الآتي:

-منطقة الشمال الشرقي: مجال صناعي قديم ينقسم إلى منطقتين هما : منطقة Megalopolis الممتدة من بوسطن إلى واشنطن عبر نيويورك ومنطقة البحيرات الكبرى.

-منطقة الجنوب : وتشمل مدنا صناعية من أهمها دالاس، وأطلنطا، و هيوستن، ونيو أورليانس.

-الغرب الساحلي : ويضم مدنا صناعية في مقدمتها لوس أنجلوس، وسان فرانسكو، و سياتل¹.

ترجع قوة الصناعة الأمريكية إلى العوامل الآتية:

¹ -نظرة على الإقتصاد الأمريكي، موقع: https://www.bea.gov/newsreleases/national/gdp/2014/gdp2q14_adv.htm، تاريخ

الإطلاع: 2020/08/03، على الساعة 10:00

- فعالية التركيز الرأسمالي.
- الاهتمام بالبحث العلمي والتكنولوجي.
- أهمية السوق الاستهلاكية أمام ارتفاع عدد السكان وارتفاع الدخل الفردي.
- وفرة اليد العاملة المؤهلة سواء منها الأمريكية أو الأجنبية.
- التسهيلات الجبائية والإدارية التي تقدمها الدولة الأمريكية للمستثمرين.
- وجود رصيد مهم من مصادر الطاقة والمعادن واستيراد الجزء المتبقي بتكاليف ضعيفة.
- النشاط التجاري: تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أول قوة تجارية وأول مصدر ومستورد في العالم. بالنسبة لتركيب التجارة الخارجية الأمريكية تشكل المنتجات الصناعية الجزء الأكبر من الصادرات والواردات. تفسر قوة التجارة الأمريكية بعدة عوامل منها:
 - كثافة شبكة المواصلات الداخلية والخارجية.
 - الانتماء إلى مجموعة أمريكا الشمالية للتبادل الحر
 - التعامل التجاري مع معظم دول العالم وخاصة البلدان الآسيوية والأوروبية وأمريكا اللاتينية¹.
 - رغم كل هذه المميزات لكن الإقتصاد الأمريكي لا يخلو من بعض المشاكل نذكر منها:
 - مشاكل الفلاحة:
 - تضخم الإنتاج الفلاحي يرتبط هذا المشكل بالأسباب التالية:
 - المنافسة الأجنبية من طرف الدول ذات المؤهلات الفلاحية الكبرى.
 - تمكن بعض زبائن الولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق الاكتفاء الذاتي.
 - تقلص مشتريات الدول الفقيرة من المنتجات الفلاحية الأمريكية.
 - تدهور المجال الفلاحي: يؤدي السقي الكثيف إلى استنزاف الفرشة المائية وارتفاع نسبة الملوحة، وتتسبب الزراعة الوحيدة الإنتاج في فقر التربة. وتعرف الفلاحة الأمريكية أيضا مشكل انجراف التربة².

¹-نظرة على الإقتصاد الأمريكي، موقع: https://www.bea.gov/newsreleases/national/gdp/2014/gdp2q14_adv.htm، تاريخ

الإطلاع: 2020/08/03، على الساعة 10:00

²- لوريتا نابوليوني، الإقتصاد العالمي الخفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، سنة 2010، ص: 14.

• مشاكل الصناعة:

- ضعف القدرة التنافسية للمصنوعات الأمريكية مقارنة مع منتجات البلدان الصناعية الجديدة، اليابان، ودول الاتحاد الأوروبي بفعل ارتفاع تكاليف الإنتاج الصناعي الأمريكي أمام ارتفاع الأجور وقدم التجهيزات.
- الحاجة إلى مصادر الطاقة والمعادن رغم التوفر على رصيد مهم منها. وبالتالي ضرورة استيرادها بكميات ضخمة لتلبية متطلبات الصناعة الأمريكية.
- عجز الميزان التجاري: تفوق قيمة الواردات قيمة الصادرات لعدة أسباب منها: ضعف القدرة التنافسية للمصنوعات الأمريكية، وتزايد استيراد مصادر الطاقة والمعادن وضمونها البترول.

• الأخطار المناخية والبيئية:

- تعرف الولايات المتحدة الأمريكية أخطارا مناخية كبرى منها : الأعاصير، والزوابع القوية، والفيضانات، والعواصف الثلجية، والرياح القطبية، وشدة الحرارة صيفا في بعض المناطق.
- يتخذ تدهور البيئة في الولايات المتحدة الأمريكية أشكالا متعددة منها تلوث الهواء والمياه والتربة، وسوء استغلال الموارد الطبيعية، و حدوث الأمطار الحمضية.¹

المطلب الثاني: الاتحاد الأوروبي صورة أخرى للرأسمالية

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مشروع مارشال الاقتصادي لسنة 1947 أن تبسط سيطرتها الاقتصادية والعسكرية على أوروبا من خلال تقديم مساعدات مالية لأوروبا الغربية، والاهتمام الدولي بتحرير الأسواق العالمية والإقليمية واحتكاكها بعضها البعض من خلال التعاون الاقتصادي والإعتماد المتبادل إلى تعزيز فكرة التكتلات الاقتصادية وخاصة لدى أوروبا لمواجهة المنافسة العالمية وخصوصا الاقتصاد الأمريكي في ذلك الوقت، هذه الأسباب وغيرها عجلت بفكرة إنشاء تكتل أوروبي سمي في ما بعد الاتحاد الأوروبي.

الفرع الأول: نشأة الاتحاد الأوروبي

الاتحاد الأوروبي مجموعة من الدول الأوروبية مرتبطة ببعضها البعض يمتد من البحر الأبيض المتوسط جنوبا إلى الدائرة القطبية شمالا، ومن البحر الأسود شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، بتعداد سكاني يقارب 510 مليون نسمة و 24 لغة رسمية ونتاج محلي إجمالي يقارب 14 ترليون يورو ويمثل

¹ - لوريتا نابوليوني، مرجع سابق، ص: 14.

20% من التجارة العالمية وبعملة موحدة تسمى اليورو هي في حد ذاتها مستقلة في وزنها وقيمتها¹، أي ليست سلة عملات.

وتعود فكرة إنشاء الاتحاد الأوروبي إلى وضع أوروبا الكارثي بعد الحرب العالمية الثانية والحاجة إلى الشراكة المدفوعة بالحاجة إلى بناء أوروبا، مما استدعى تشكيل الجماعة الأوروبية للفحم والصلب عام 1951 التي تألفت من ستة دول آنذاك وهي: ألمانيا الغربية، فرنسا، إيطاليا، هولندا، بلجيكا، لوكسبورغ² والتي عرفت فيما بعد باسم الجماعة الاقتصادية الأوروبية بموجب اتفاقية روما 1957 بهدف إزالة الحواجز والقيود الضريبية والجمركية وحرية العمالة ورأس مال والخدمات بين الدول. وبداية من سنة 1973 توسعت المجموعة لتشمل العديد من الدول الأوروبية وفي 1992 وقعت معاهدة ماستريخت بهولندا وتم بمقتضاها تجميع مختلف الهيئات الأوروبية في إطار واحد هو الاتحاد الأوروبي وهي التسمية الرسمية للمجموعة .

ويمكن تقسيم التطور التاريخي لتطور الاتحاد الأوروبي إلى عدة مراحل وهي:

- **مرحلة الخمسينات:** هي مرحلة المعاهدات التأسيسية وهي مرحلة تمتد منذ إعلان شومان* عن تأسيس الجماعة الأوروبية للفحم والصلب والتي عرفت عند البعض اتحاد الفحم والفولاذ سنة 1950 وقعتها الدول الستة في باريس يوم 1951/04/08 إلى غاية اتفاقية روما في 1957/05/25 التي أسست السوق الأوروبية المشتركة ومنظمة الطاقة الأوروبية النووية والتي دخلت حيز التطبيق في 1968/01/01 .
- **مرحلة الستينات:** تميزت بتهميش الجماعة الأوروبية للطاقة الذرية بسبب الفيتو الفرنسي حيث يرى انه قطاع وطني ، ضف إلى ذلك في 1965/03/27 تم توقيع اتفاقية دمج الهيئات التنفيذية الثلاث الجماعة الاقتصادية الأوروبية، منظمة الطاقة الأوروبية النووية، والهيئة الأوروبية للفحم والفولاذ (ECSC) والتي شكلت المجموعة الاقتصادية الأوروبية في هيئة تنفيذية واحدة دخلت حيز التنفيذ سنة 1969 كذلك في 1967/08/01 بدأت الوحدة الجمركية وتم اعتماد تعريف جمركية موحدة.³

¹-محسن الخضيرى، اليورو الإطار الشامل والكامل للعملة الأوروبية الموحدة، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، سنة 2002، ص:12.

²-محمد المقداد وصابر السرحان، الاتحاد الأوروبي والعوامل المؤثرة على وزنه الدولي، جامعة ال البيت، الأردن، سنة 2013، ص 16.

*إعلان شومان، هو التصريح الذي تقدم به وزير الخارجية الفرنسية آنذاك روبر شومان أمام الصحافة الدولية بتاريخ 1950/04/09 واعد صياغته مستشاره الاقتصادي و المندوب السامي الفرنسي للتخطيط و التجهيز جون مونييه jean monnet.

³-صلاح الدين حسن السيسى، الاتحاد الأوروبي والعملة الأوروبية الموحدة اليورو، عالم الكتاب، ط1، مصر، سنة 2003، ص: 13.

- **مرحلة السبعينات:** ما يميز هذه المرحلة هو التوسع ، ففي عام 1973 أنظمت **المملكة المتحدة** و**ايرلندا** و **الدنمارك** والسبب التأخير البريطاني هو الفيتو الفرنسي في وجه انضمام البريطاني والمشكل الحقيقي هو دفاع بريطانيا عن مصالحها الزراعية ومصالح دول الكومنولث، والمعروف أن السياسة الزراعية المشتركة كانت مصلحة فرنسية أساسية داخل الاتحاد، وانتهى هذا الجدل في يناير 1966 بما يسمى « **تسوية لوكسمبورغ** » الذي نص على حق فرنسا في احتفاظ بحق الفيتو عندما يتعلق بمصالح زراعية بالغة الأهمية وانتهى هذا الفيتو في منتصف الثمانينات.¹
 - **مرحلة الثمانينات:** واصل الاتحاد توسعه وانضمت **اليونان** سنة 1981 ثم **اسبانيا** و**البرتغال** سنة 1986 ، وفي الجانب الاقتصادي أعدت المفوضية الأوروبية في 14/06/1985 في قمة **لوكسمبورغ LUXEMBOURG** برنامجا إصلاحيا عن استكمال السوق الداخلية والذي حدد الإجراءات اللازمة لإلغاء كل الحواجز قبل 1992 وإلغاء مراقبة الأشخاص على الحدود داخل المجموعة إلغاء طرديا وفق **معاهدة شنكل 1985**.²
 - **مرحلة التسعينات:** ما يميز هذه المرحلة هو عقد قمة لمجموعة الأوروبية في **ماستريخت 1992** والتي أطلق عليها اتفاقية الاتحاد الأوروبي **européan union** وبذلك تجسدت فكرة الفرنسي جون مونييه من مجموعة الفحم والصلب إلى سوق مشتركة إلى الاتحاد الأوروبي، وواصل الاتحاد توسعه ليشمل **النمسا** و**فنلندا** و**السويد**.
- في الجانب الاقتصادي، بدا في سنة 1989 التطبيق النظام النقدي الأوروبي ووحدة الصرف الأوروبية، واعتمد آلية تفصيلية للتدخل في أسواق النقد بهدف التحكم في أسعار الصرف العملات وتقديم الدعم للعملات التي تتعرض للضعف وتضمن هذا النظام عملات الدول الستة وترك باب الانضمام مفتوحا شريطة قيام الدول ببعض التعديلات التشريعية والتصديق على التشريعات التحول إلى اليورو بحلول الألفية.³ وبالحديث عن تطور مسيرة الاتحاد الأوروبي لابد من التركيز على معاهدة الاتحاد الأوروبي والتي عرفت باسم **ماستريخت**⁴ وخصوصا في شقها الاقتصادي، رغم أنها خدمت العديد من

¹ -جون بيندر، سايمون اشروود، الإتحاد الأوروبي مقدمة قصيرة جدا، ترجمة خالد غريب على، مؤسسة هنداوي، مصر، سنة 2015، ص: 25.

² -أنيس المرزوقي، مراحل بناء الاتحاد الأوروبي، مجلة الحوار المتمدن، عدد 4333 ، 2014/01/13 ، بون صفحة.

³ -صلاح الدين حسن السيبي، مرجع سابق ، ص: 15

⁴ -عميرة محمد سعيد، واقع وأفاق ماستريخت، بدون طبعة، عمان، سنة 1994، ص: 23.

القضايا مثل السياسة الخارجية والأمنية والأمن الداخلي والتعاون.... الخ ، ويمكن أبراز أهم ما جاءت به ماستريخت في جانبها الاقتصادي في نقاط التالية ¹:

- (1) الوحدة السياسية والاقتصادية الأوروبية مع إعطائهم إسم جديد للمجموعة
- (2) الوحدة الاقتصادية والنقدية لأوروبا
- (3) إنشاء منطقة تجارية أوروبية حرة وتشجيع التجارة الحرة بين الدول الأوروبية وإزالة القيود التجارية على المنتجات
- (4) إنشاء بنك موحد لتمويل و . للاستثمار والتنمية
- (5) التوجه نحو التوحيد العملة النقدية

• **مرحلة الألفية 2000 حتى 2016:** ما يميز بداية هذه المرحلة من الناحية الاقتصادية هو بدأ تداول العملة الموحدة اليورو ومن المعروف أن مشروع أوروبا النقدي بدأ بموجب اتفاقية روما 1957 وواصل مسيرته إلى 1999/01/01 تاريخ الإصدار الذي يكون في إطار جدول زمني من ثلاث مراحل وهي المرحلة التعريفية باليورو ويتم طرحه إلى جانب العملات الوطنية ثم من سنة 2002 تدخل مرحلة النظام المزدوج للتداول، حيث يتم إدخال اليورو في كل تداول نقدي، المرحلة الأخيرة هي سيادة اليورو وإحلاله بالكامل.²

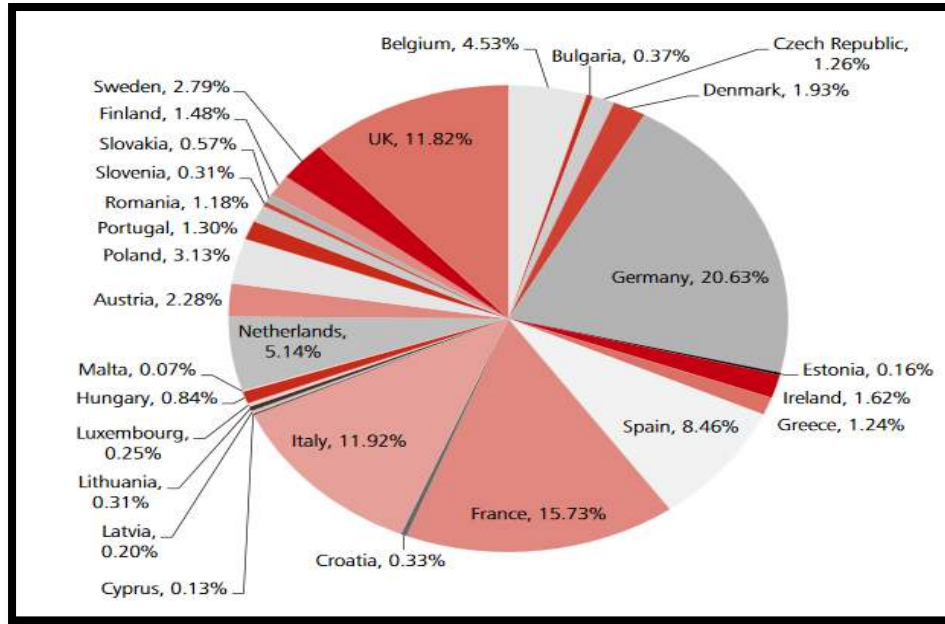
الفرع الثاني: أكبر المساهمين في الاتحاد الأوروبي

الناتج المحلي الإجمالي لدول الأعضاء يمثل المصدر الأساسي والأول لتمويل الميزانية الأوروبية وبلغ نسبته سنة 2017 حوالي 68% من مجموع إيرادات ميزانية الاتحاد، وفي سنة 2017 احتلت المملكة المتحدة المرتبة الرابعة بعد كل من ألمانيا، فرنسا، وإيطاليا من حيث نسبة المساهمة في الميزانية. والشكل التالي يوضح مساهمات كل دولة عضو:

¹ - أحمد سيد نوفل، الاتحاد الأوروبي في مطلع الألفية-الواقع وتحديات، قسم علوم السياسية، جامعة اليرموك، الأردن، بدون سنة، ص:5.

² - محسن الخضير، اليورو: الإطار الشامل والكامل للعملة الأوروبية الموحدة، مجموعة النيل العربية، مصر، سنة 2002، ص: 25.

الشكل رقم (01): إيرادات ميزانية الاتحاد الأوروبي 2017



Source : HM Treasury, European Union Finances 2017: statement on the 2017 EU Budget and measures to counter fraud and financial mismanagement, March 2017 p 10

يتضح من الشكل أن ألمانيا من أكبر المساهمين في ميزانية الاتحاد الأوروبي تليها فرنسا ثم إيطاليا، المملكة المتحدة رابع أكبر مساهم في ميزانية الاتحاد بنسبة 11.82% حوالي 8.909 مليار جنيه إسترليني.

المطلب الثالث: الإقتصاد الياباني

حققت اليابان خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ما يشبه المعجزة الاقتصادية خلال فترة قصيرة من الزمن، فخلال 30 سنة حولت اليابان نفسها من بلد حطمته الحرب يتركز انتعاشه الصناعي في إنتاج "الأجزاء الرخيصة" والسلع الاستهلاكية البسيطة إلى دولة ثرية ورائدة على مستوى العالم في مجال الصناعة التقنية المعقدة مع أنها تقتصر إلى الحد الأدنى من الموارد الطبيعية. ناهيك عن حجم التبادل التجاري حيث ساهم نجاح الصادرات اليابانية في تعزيز الفائض في تعاملات البلاد الدولية منذ السبعينات من القرن الماضي. وتم استثمار هذا الفائض الضخم في الخارج مما أدى إلى خلق حصة ضخمة من الأرصدة الخارجية لليابان.

الفرع الأول: نظرة حول مختلف القطاعات

تتعدد القطاعات الاقتصادية ومنه سنلقي نظرة على بعض القطاعات في الإقتصاد الياباني كما يلي:

أولاً: الطاقة

تحتاج اليابان كميات كبيرة من الطاقة لمصانعها ومزارعها وبيوتها وللسيارات، واليابان من كبريات دول العالم في إنتاج الطاقة الكهربائية، يأتي 65% من الطاقة من النفط، وتستورد اليابان كل احتياجاتها تقريباً من النفط والغاز الطبيعي، إذ إن الإنتاج المحلي منهما لا يغطي أكثر من 1% من احتياجاتها المحلية، ومعظم كميات النفط المستوردة تأتي من بلدان الشرق الأوسط، كذلك تواصل اليابان التتقيب عن النفط على أمل العثور عليه في سواحلها وفي مضيق كوريا وبحر اليابان.

تمتلك اليابان مصادر كبيرة للفحم الحجري في جزيرتي هوكايدو وكيوشو بالرغم من أن معظم المتوافر منه من النوع الرديء رقيق الطبقات، لذلك يكثر الاعتماد على النفط مصدراً للطاقة، تزود الكهرباء الناتجة من مصادر الطاقة النووية البلاد بنحو 25% من احتياجاتها للطاقة، وتنتج محطات الطاقة الكهرومائية نحو 10% من احتياجات اليابان.

ثانياً: النقل

شبكة السكك الحديدية اليابانية لها شهرتها العالمية، والقطار الكهربائي ذو السرعة العالية الذي يشبه الرصاصة، واحد من أسطول كبير للقطارات اليابانية السريعة التي تقطع أراضي الجزيرة اليابانية الكبرى هونشو.

تمتلك اليابان نظاماً حديثاً للنقل يتميز بكفاءة عالية، يشتمل على الطرق الخارجية وخطوط السكك الحديدية والسفن الساحلية وفي جميع المدن، يتوافر نظام دقيق للنقل، بما في ذلك الحافلات والقطارات وقطارات الأنفاق. وتأتي اليابان في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في عدد سيارات الركاب، وحجم حظيرة السيارات يقدر بـ 29 مليون سيارة، وتنقل الشاحنات 45% من السلع داخل اليابان، بينما تنقل القطارات 7% من السلع و40% من المسافرين، وتتصل جزيرتا هوكايدو وهونشو بنفق طوله 53,9 كم تحت البحر، وهو أطول نفق يستخدم للنقل في العالم، ويبلغ حجم الأسطول التجاري الياباني 40 مليون طن متري. والموانئ الرئيسية هي جيبا وكوبي وناغويا ويوكوهاما، كما توجد¹

¹ - غريغوري كلارك ترجمة أمين الأيوبي، الإقتصاد العالمي: نشأته، تطوره ومستقبله، الدار العربية للعلوم ناشرون، سنة 2009، ص: 345

مئات من الموانئ والمرافئ الصغيرة، وتنقل السفن ما يقارب نصف البضائع المعدة للشحن داخل اليابان، وفي اليابان كثير من المطارات الحديثة ويندرج المطار الدولي في طوكيو ومطار أوساكا الدولي ضمن المطارات الأكثر ازدحاما في العالم.

تعتبر أعمال النشر والبت الإذاعي من الخدمات المزدهرة في اليابان، ففيها أكثر من 125 صحيفة، منها ثلاث صحف كبيرة تنشر في خمس طبعات إقليمية، وتنتج دور النشر 40 ألف كتاب سنويا. ويوجد في كل بيت ياباني جهاز تلفاز وجهاز مذياع واحد أو أكثر، وتقوم الحكومة بإدارة النظام البريدي، أما أنظمة البرق والهاتف، فإنها تتبع القطاع الخاص، و90% من الدور اليابانية فيها جهاز للهاتف.¹

ثالثا: الصناعة

استمد مكانته العالمية بالاعتماد على الصناعة الثقيلة القائمة على تحويل المواد الأولية المستوردة، فهي أول منتج للحديد والصلب في العالم وثالث قوة في تكرير البترول، وأول منتج للسيارات، إضافة إلى مساهمتها بنسبة 40% من الإنتاج العالمي للسفن. ويسجل الميزان التجاري الياباني ربحا سنويا وذلك بتصدير الصناعات التكنولوجية والثقيلة، ووضع قيود جمركية على المواد المصنعة الأجنبية. وعلى الرغم من امتلاك اليابان القليل من الموارد الطبيعية فإن أحد الأساليب التي تتبعها الشركات اليابانية تتمثل في استيراد المواد الخام وتحويلها إلى منتجات تباع محليا أو يتم تصديرها. وتتمتع العلامات التجارية اليابانية مثل "تويوتا" و"ميتسوبيشي" و"سوني" و"فوجي فيلم" و"باناسونيك" بشهرة عالمية.

رابعا: التكنولوجيا

تعد من أحد أهم أسباب تفوق الاقتصاد الياباني الذي احتل المرتبة الأولى في إنتاج الإلكترونيات في العالم، مثل أجهزة التلفزيون وأجهزة التسجيل والكاميرات وغيرها، وتعتبر أيضا أول بلد منتج للروبوت "الإنسان الآلي" في العالم. وعلى الرغم من ذلك ما زال يعاني من ضعف في مجالات الصناعات الدوائية والجو والفضاء.²

¹ - غريغوري كلارك ترجمة أمين الأيوبي، مرجع سابق، ص: 345

² - مروان سمور، كيف نهضت اليابان من ركام الحرب لتصبح ثالث أقوى اقتصاد في العالم، منشور على موقع:

<http://mubasher.aljazeera.net/blog-post/%C2%A0%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%B1%D9%83%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%A8%D8%AD-%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB-%>

خامسا: الميزان التجاري

كشفت بيانات رسمية في اليابان عن تسجيل فائض في الميزان التجاري في أبريل 2019، بنحو 4.3 مليار دولار، بدعم من نمو الصادرات بـ7.5% بفعل نمو في شحنات آلات إنتاج الرقائق الإلكترونية والصلب والمحركات.

الفرع الثاني: توقعات النمو الاقتصادي

حقق الاقتصاد الياباني أطول فترة للنمو منذ الفقاعة الاقتصادية عام 1989 بدعم من إنفاق المستهلكين والإنفاق الرأسمالي. أعلن البنك المركزي الياباني أنه سيبقي على تدابير التيسير النقدي المتساهلة للغاية، لتحفيز ثالث أكبر اقتصاد في العالم، في الوقت الذي خفض فيه توقعاته بشأن التضخم للعام المالي الجاري.

ويتوقع البنك المركزي أن ينمو الاقتصاد الياباني بنسبة 1,6% حتى مارس 2019، بعد أن تم تعديل النسبة من تقديرات سابقة قدرها 1.4% أعلنت في جانفي 2020. إلا أنه أعلن البنك المركزي الياباني أن الاقتصاد سينكمش بنسبة 4.7% مارس 2021، متوقعا انتعاشا في العام الذي يليه ومحدرا في نفس الوقت من استمرار حالة الإرباك. وأبقى بنك اليابان على تفاؤله حيال انتعاش مستقبلي، لكنه قال إن التوقعات يخيم عليها احتمال حدوث موجات جديدة من وباء كوفيد-19، وهو ما يعقد الحسابات.

وقال البنك المركزي في بيان نقلته وكالة "فرانس برس" إن "اقتصاد اليابان سيتحسن على الأرجح تدريجيا اعتبارا من النصف الثاني من العام مع استئناف النشاط الاقتصادي، لكن يتوقع أن تكون الوتيرة معتدلة وسط استمرار تداعيات فيروس كورونا المستجد على مستوى العالم¹".

وبالتالي نستطيع القول أن كل دولة اختارت درجة معينة من الرأسمالية إما مطلقة مثل الولايات المتحدة أو المدارة مثل الاتحاد الأوروبي أو المختلطة مثل اليابان.

¹ - مروان سمور، كيف نهضت اليابان من ركاب الحرب لتصبح ثالث أقوى اقتصاد في العالم، منشور على موقع:

<http://mubasher.aljazeera.net/blog-post/%C2%A0%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%B1%D9%83%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%A8%D8%AD-%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB-%>

المبحث الثاني: نماذج عن الإقتصاد الاشتراكي

النظام الاشتراكي هو ذلك النظام الذي يقوم على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، وتتحكم الدولة في إدارة، تسيير، وممارسة النشاط الإقتصادي من خلال التخطيط المركزي، وقد تم تطبيق الفكر الاشتراكي من خلال تبني الثورة البلشفية في العام 1917م للاشتراكية الماركسية أو العلمية، وإقامة أول دولة اشتراكية ماركسية في جمهورية الاتحاد السوفييتي، وقد ازدهر الفكر الاشتراكي في العديد من دول العالم خاصة النامية منها، غير أنه بدأ يتعرض لهزات عنيفة منذ السبعينات من القرن الماضي، ولم تنته حقبة الثمانينيات حتى انهار الاتحاد السوفييتي على أثر الحرب التي خاضها في أفغانستان لمدة زادت عن سبع سنوات، وانهارت معه الاشتراكية العلمية، وقد أدى ذلك إلى ارتداد الفكر الاشتراكي، وتخلي غالبية دول العالم عن تبني هذا الفكر، و بما أن روسيا هي ما تبقت من الإتحاد السوفياتي لا تزال تعتمد على المبادئ الإشتراكية، والصين لا تزال ظاهريا تعتمد أيضا على الإشتراكية، فسنناولهما كنموذجين عن الإقتصاد الإشتراكي.

المطلب الأول: الإقتصاد الروسي

تقدر مساحة روسيا بأكثر من 17 مليون كيلو متر مربع، ويتجاوز عدد سكانها 142 مليون نسمة حسب تعداد عام 2011، وتعتبر روسيا سابع أكبر اقتصاد في العالم حسب الناتج المحلي الإجمالي، والسادسة من حيث القدرة الشرائية، والثالثة من حيث الميزانية العسكرية اقتصاديا، عرفت روسيا منذ نهاية النظام الاشتراكي فترة انتقال من الاقتصاد المركزي والمخطط إلى اقتصاد حر. الاقتصاد الروسي يعتبر متقدما حاليا مقارنة بأوائل التسعينيات. كما تعتبر روسيا من الأسواق التي تشهد نموا مطردا في الفترة الحالية، إذ إنها تحقق أرباحا نتيجة لارتفاع أسعار النفط والغاز الطبيعي، صناعيا تقوم روسيا بإنتاج الآلات الثقيلة والمعدات الكهربائية. ومن أهم منتجات الصناعة الكيماوية الألياف الكيماوية والأسمدة المعدنية ومنتجات البتروكيماويات والراتينج الصناعي. حتل روسيا المرتبة الـ12 في العالم من ناحية الناتج المحلي الإجمالي، وهي السادسة عالمياً من حيث القوة الشرائية، كما تحتوي على أكبر احتياطي غاز في العالم، وهي أكبر مصدر له. وهناك أيضا صناعة الفضاء في روسيا والتي تضم أكثر من 100 شركة وتوظف 250 ألف شخص.

وتحتفظ روسيا بسادس أكبر احتياطي ذهب في العالم، حيث بلغ نحو 1500 طن العام الماضي، ولكن اهتمامها بالذهب لا يقتصر على تخزينه فقط، كونها تعد أحد أكبر منتجي المعدن النفيس ومعادن أخرى، وهي أكبر منتج للألماس في العالم، إذ يمثل 25%، من إجمالي الإنتاج العالمي. الاقتصاد الروسي بلغ 1.3 تريليون دولار عام 2015، ولديه سادس أقوى قوة شرائية في العالم، إلا أنه شهد تباطؤًا خلال السنوات الماضية إثر انخفاض أسعار النفط والعقوبات التي فرضها عليه الاتحاد الأوروبي.

وقد دفع ركود الاقتصاد الحكومة لاتخاذ إجراءات تشمل خفض الإنفاق وتطبيق سياسة سعر صرف أكثر ليونة وإعادة رسملة البنوك، ما أدى بالبنك الدولي لتوقع تعافيه هذا العام ونموه خلال الأعوام الثلاثة المقبلة¹.

المطلب الثاني: الصين كقوة إقتصادية صاعدة

تعد التجربة الصينية من النماذج الدولية المميزة والفريدة من نوعها، وذلك بفضل المعجزة الاقتصادية التي تم تحقيقها في وقت قصير، حيث نجح الاقتصاد الصيني في أن يصبح ثاني أكبر اقتصاد عالمي بعد اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية بناتج محلي إجمالي بلغ حوالي 10.35 تريليون دولار أمريكي في عام 2014 وفقا لإحصائيات البنك الدولي، كما تعد الصين أسرع اقتصاد نام خلال الثلاثين سنة الماضية بمعدل نمو سنوي تخطى 10% ولكنه تقلص خلال السنتين الأخيرتين ليبلغ حوالي 7.3% مع تكهنات باستمرار التراجع في النمو خلال السنوات القادمة ليعكس الوضع الحقيقي للاقتصاد الصيني.

الفرع الأول: مراحل تطور الإقتصاد الصيني

لقد مر الاقتصاد الصيني بعدة مراحل منذ إعلان قيام الجمهورية الصينية الشعبية في عام 1949، وتميزت كل مرحلة بمجموعة من الخصائص التي ساهمت بشكل كبير في تطور الاقتصاد الصيني ونموه لينجح في السيطرة على جزء لا يستهان به من الاقتصاد الدولي والوصول إلى مرحلة متقدمة من المساهمة في رسم التوجهات العالمية وذلك بالشراكة مع مجموعة من القوى الاقتصادية والسياسية العظمى، ولعل من أبرز تلك المراحل :

¹ - الإقتصاد الروسي، على موقع:
https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF_%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7

أولاً: النموذج الاشتراكي والاقتصاد المركزي (1949-1977)

مع إعلان قيام الجمهورية الصينية الشعبية عام 1949 بدأت الحكومة في بناء النموذج الاشتراكي القائم على الحكم المركزي، فعلى الرغم من إصرار "ماو" على أن هدف الحكومة هو تنظيم الرأسمالية وليس تحطيمها إلا أن الواقع كان مخالفاً لتلك التصريحات حيث اختفت الشركات الخاصة وحلت رأسمالية الدولة البيروقراطية محل الرأسمالية الخاصة، قام "ماو" بتطبيق النموذج الاقتصادي السوفياتي بغرض تأسيس نموذج اشتراكي مكثف للنمو الاقتصادي والاجتماعي ومن هنا نشأت فكرة التخطيط متوسط المدى أو الخطط الخماسية، وهو الأسلوب المعتد به في الصين حتى يومنا هذا. تميزت مرحلة البناء الاشتراكي بإعادة تنظيم الفلاحة والتحول نحو اقتصاد زراعي موجه مركزياً، حيث تم تجميع الأراضي الزراعية في شكل جمعيات تعاونية كبيرة تتكون كل جمعية من 1200 أسرة ريفية تنعدم لديها الملكية الخاصة تمهيداً لتأسيس اشتراكية زراعية كاملة.

كما تم الاعتماد على الصناعات الأساسية والتجهيزية والثقيلة، حيث تركزت الخطة الخماسية الأولى (1953-1957) على إستراتيجية الصناعات الثقيلة وخاصة تلك المرتبطة بالدفاع الوطني بهدف تحويل الصين من بلد زراعي متخلف اقتصادياً إلى دولة صناعية، وكان ذلك بدعم تكنولوجي وتقني وتمويلي من الاتحاد السوفياتي ولكن تلك الإستراتيجية كان بها خلل ظهر في انخفاض معدل نمو الناتج المحلي، حيث بلغ معدل النمو في عام 1953 حوالي 15.6% بينما انخفض إلى 5.1% في عام 1957، ويرجع هذا الانخفاض في معدل النمو إلى عدم ملائمة الإستراتيجية السوفيتية المطبقة للوضع في الصين، حيث تم التركيز على الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب وإهمال القطاع الزراعي والصناعات الخفيفة كمرحلة وسطى من مراحل التطور الصناعي مما أدى إلى إعادة بلورة أسس التنمية الاقتصادية الجديدة في الصين والقائمة على مبدأ الاعتماد على الذات لتحقيق الاشتراكية فتم اعتماد الخطة الخماسية الثانية أو ما سمي بـ "استراتيجية القفزة الكبرى للأمام" في الفترة (1958-1962) ومن أهم أفكارها: تحرير طاقة الجماهير، القضاء على البيروقراطية، والاستغناء عن النماذج، وكان الدافع ورائها هو إلغاء اتفاقيات التعاون بين كلا من الصين والاتحاد السوفياتي وتوقف المعونات السوفيتية للصين.¹

¹ - الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع:

[/https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history](https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history)

قامت إستراتيجية القفزة الكبرى على مجموعة من المبادئ أهمها التطوير الشامل بمعنى تطوير جميع القطاعات واعتناق مبدأ اللامركزية الإدارية كتشجيع الوحدات الدنيا على اتخاذ القرارات كما تم تشكيل الكميونات شعبية والتي جاءت نتيجة دمج عدد من الوحدات الاقتصادية الصغيرة تعاونيات اشتراكية كبيرة فهي نظام إداري يجمع بين النشاط الصناعي والزراعي والتعليم والثقافة، ولكن التطبيق الفعلي لهذه الاستراتيجية نجم عنه أزمة كساد كبيرة فقد كان مطلوب من الكميونات أن تسلم حوالي ثلث إنتاجها كضريبة للدولة وترك الباقي كغذاء المجمع السكني لكل كميونة وبالرغم من حدوث جفاف في تلك الفترة إلا أن أنصار “ماو” المقربين كانوا ينقلون أخبار عن زيادة إنتاج الحبوب بأرقام كبيرة وبذلك فقد وصل الأمر لأن يدفع الكميون معظم إنتاجه كضريبة للدولة نتيجة تضخم نسبة الثلث تبعا لأرقام الإنتاج المبالغ فيها، مما أدى لانخفاض كبير في القدرة الشرائية وقلة الموارد المتاحة للإنتاج الزراعي وحدث مجاعة في الوقت الذي كانت مخازن الحبوب في الدولة ممتلئة، قدرت أعداد الوفيات نتيجة الأمراض ونقص التغذية في تلك الفترة حسب الأرقام الرسمية ما يقرب من 30 مليون حالة عندما أدرك “ماو” أن إستراتيجية القفزة الكبرى ليست ناجحة عمليا، تنحى عن رئاسة الجمهورية لصالح ليوشاوتشي أحد قادة التنظيم الشيوعي قبل الثورة، واكتفى بكونه زعيما للحزب الشيوعي الحاكم.

انهمكت الحكومة الصينية في الفترة (1963-1966) في دراسة أسباب فشل تلك الإستراتيجية والسبيل إلى إيجاد منهج ملائم لتحقيق نمو القوى الإنتاجية مما نتج عنه انتهاج إستراتيجية الثورة الثقافية (1966-1976) تم خلالها تطبيق الخطتين الخمسيتين الثالثة (1966-1970) والرابعة (1971-1976) كانت السمة الأساسية لاقتصاد الصين خلال فترة الثورة الثقافية هي الاعتماد على الذات فقد اهتمت الدولة في البداية بالحدّ من الاستهلاك الفردي في سبيل تعزيز الاستثمار، قد تسبب هذا الاتجاه في تعطيل الاقتصاد في البداية حيث انكمش معدل نمو الناتج المحلي ب- 5.5% و -4.1% عامي 1967 و 1968 على الترتيب لكنه عاود النمو بقوة خلال العاميين التاليين ويرجع ذلك لتعبئة الموارد الإنتاجية بالإضافة لإعادة النظام بعد إبعاد مجموعات الحرس الأحمر إلى الريف في 1968، وقد حدث زلزال كبير في عام 1976 إلى جانب وفاة ماو واندلاع اضطرابات سياسية في¹ العام ذاته، مما أدى لتراجع النمو انتهت الثورة الثقافية بموت ماو 1976 وتلا ذلك عاوان من الصراع على السلطة إلى

¹ - الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع:

[/https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history](https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history)

أن تولى دينج شياوبنج سدة الحكم فدخلت الصين مرحلة جديدة من التحول فقد كانت خلال الفترة من 1949-1978 دولة فقيرة اقتصاديًا، ولم يكن هناك وجود للاستثمار الأجنبي فيها قبل عام 1978، كما أن إسهامها في التجارة العالمية كان نسبة قليلة جدا لا تتناسب مع دولة بحجمها.

ثانياً: التحرر الإقتصادي وسياسات الإصلاح (1978-1988)

بدأت الصين في هذه الفترة بتطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجي وانتقلت إلى مرحلة متقدمة اقتصاديًا مختلفة عما حدث قبل 1978، فخلال انعقاد المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني في نفس العام وتم الاتفاق على القيام بإصلاحات اقتصادية منها:

- العمل على جعل الاقتصاد الصيني أكثر قدرة على التكيف مع تغيرات الاقتصاد العالمي والاندماج فيه.
- إعادة النظر في أولويات التنمية فالقطاع الزراعي يأتي أولاً يليه الصناعي فالباحث العلمي ثم الدفاع.
- إعادة هيكلة قطاعات الإنتاج والسماح بالمشروعات الخاصة مع احتفاظ الدولة بالسيطرة على الصناعات الثقيلة والطاقة والتعدين.
- السماح بدرجة استقلالية أكبر للمؤسسات الإدارية بعيداً عن بيروقراطية الحزب الحاكم.
- تشجيع القطاع السياحي.
- السعي للانضمام للهيئات المالية والتجارية الدولية.

كما قدم دينج خلال مؤتمر الحزب الحاكم في 1982 فكرته عن الاشتراكية ذات الخصائص الصينية وضرورة التحول نحو "اشتراكية السوق" بمعنى نظام اقتصادي تكون فيه وسائل الإنتاج ذات ملكية عامة، تعمل من أجل الربح في إطار اقتصاد السوق وتستخدم الأرباح في تحديد أجور العاملين وكمصدر تمويل عام.¹

وكان دينج يرى أن تحصل الصين على التكنولوجيا ورؤوس الأموال التي تحتاجها الصين من أجل نهضتها، وأعلنت الصين أن الانفتاح على العالم الخارجي يعد من السياسات الرئيسية التي تتمسك بها

¹ - الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع:

[/https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history](https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history)

الصين، بالإضافة إلى جذب رؤوس الأموال الأجنبية والتكنولوجيا المتقدمة، ودراسة التجارب الناجحة في التخطيط والإدارة الاقتصادية في الدول الأجنبية، وتشجيع مؤسسات الدولة للمشاركة في المنافسة بالأسواق العالمية وتعزيز تعميق الإصلاح الداخلي والتنمية الاقتصادية.

وقد شهدت هذه الفترة بداية النهضة الاقتصادية لجمهورية الصين الشعبية وتم تحقيق العديد من الانجازات فقد وُضعت إستراتيجية تنموية ملائمة لواقع الصين من ثلاث خطوات وحدد مدة زمنية قدرها 70 سنة لتحقيق أهدافها، وركز خلال الخطوة الأولى أن يتم توفير الغذاء والكساء لكافة المواطنين خلال فترة 10 سنوات ونجحوا في تحقيق هذا الهدف قبل نهاية الثمانينات وتمثلت الخطوة الثانية في مضاعفة الناتج المحلي ب 4 أضعاف في نهاية القرن العشرين وقد وصل للمعدل المطلوب منتصف التسعينات، أما الخطوة الثالثة فكانت زيادة معدل دخل الفرد ليصل لنظيره في الدول متوسطة النمو عام 2050، بدأت التحركات الفعلية لتحقيق رؤية دينج بالانفتاح على العالم واستقدام التكنولوجيا من الدول المتقدمة خاصة الغربية منها، فتم توقيع الصين لمعاهدة السلام والصداقة مع اليابان في عام 1978، وخلال زيارة للولايات المتحدة عام 1979 تمكن من إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة ثم تحسنت علاقة الصين تدريجيا مع الاتحاد السوفيتي بعد انقطاع طويل، بالإضافة لتشجيع الشباب الصيني للدراسة في الخارج، كما تم البدء في إصلاح القطاع الزراعي أولاً كمدخل للتنمية فأُلغيت الكميونات الشعبية وتم توزيع الأراضي على العائلات كما أصبح مسموحاً للفلاحين باختيار أنواع المحاصيل التي يرغبون بزراعتها وقد ساهمت هذه الإصلاحات في زيادة الإنتاج الزراعي بنسب كبيرة، قد أقر الحزب الحاكم عام 1984 مجموعة من الإصلاحات تقوم على اللامركزية في إدارة المشروعات العامة خاصة فيما يتعلق بسياسات التسعير والعمالة، كما أصبح من حق المقاطعات المحلية أن يكون لها ممثلين تجاريين في الخارج وفتح المجال أمام إقامة المشروعات الخاصة والمشاركة مع الاستثمارات الأجنبية، وقد ساهمت الإصلاحات في كل من القطاع الزراعي والصناعي وبالإضافة لسياسات الانفتاح على العالم في دفع عجلة التنمية في الصين ورفع معدلات النمو.¹

وفي منتصف الثمانيات تسارع معدل النمو تزامناً مع الإصلاحات الاقتصادية إلى أن بدأت الضغوط التضخمية في الظهور عام 1988 مما دفع الرئيس لحث المسؤولين على إيجاد حل للمشكلة والقيام

¹ - الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع: <https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history>

بإصلاحات سعرية ومواجهة العقبات التي تعترض مسيرة الإصلاح والنمو الاقتصادي، خاصة أنها أصبحت خارج السيطرة مما يتطلب سرعة تحقيق استقرار الأسعار للوصول لمعدلات تضخم مقبولة.

ثالثاً: تجميد الإصلاح (1989-1991)

أدت إجراءات الانفتاح السريع والإصلاح الاقتصادي إلى موجة من الاضطرابات وقيام واحدة من أشهر المظاهرات في ميدان تيانانمين¹، فارتفع معدلات التضخم وانتشار الفساد وارتفع التوقعات بحدوث تغيير سياسي واقتصادي ساهم في زيادة الغضب الشعبي والاحتجاجات.

وقد اضطرت الحكومة الصينية في نهاية عام 1988 إلى تجميد الإجراءات الإصلاحية للتمكن من السيطرة على معدلات التضخم المرتفعة والناجمة عن سياسة التخزين التي اتبعتها محتكرو السلع الناقصة، من أجل رفع أسعارها وبالتالي جنيهم لمزيد من الأرباح، وفي بداية عام 1992 قام دينج بزيارة بعض المناطق الاقتصادية في جنوب الصين كما أعاد التأكيد على استئناف الإصلاح الاقتصادي وأوضح أنه "لا يهم إذا كانت السياسات المتبعة اشتراكية أو رأسمالية، طالما أنها ستعزز التنمية" فالتنمية هي الثابت الوحيد الذي يجب السعي لتحقيقه أيًا كانت نوعية السياسات المتبعة.

رابعاً: استئناف الإصلاح (1992- الوقت الحاضر)

بحلول عام 1992 انتهى التقشف وعادت الصين مره أخرى إلى تطبيق برامج الإصلاح مع التأكيد على تمسك الصين بالملامح الاشتراكية ودمجها قدر الإمكان بالعناصر الاقتصادية الرأسمالية التي تتوافق مع توجهات السوق العالمي التي تغيرت بشكل كبير بفعل قوى العولمة، وفي عام 1995 نجحت الصين في تحقيق الهدف الاستراتيجي التي خططت له قبل ميعاده بخمسة سنوات، حيث استطاعت أن تزيد قيمة الناتج المحلي الإجمالي أربعة أضعاف ما كان عليه في عام 1980، حيث بلغ¹ الناتج المحلي في عام 1995 حوالي 5760 مليار وان مما شكل قفزة كبيرة في تاريخ التنمية الاقتصادية في الصين، كما نجحت في زيادة دخل الفرد من 390 دولار إلى 7820 دولار خلال الفترة (1992-2015) وبهذا النجاح سعت الصين بخطى واثقة في نفس العام نحو الانضمام لمنظمة التجارة العالمية وإجراء المزيد من

¹ - الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع:

[/https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history](https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history)

الإصلاحات الاقتصادية حيث بدأ التحرر الفعلي في عام 1997 مع الالتزام بتمتع الحكومة بقدر عالي من الرقابة متمثل في الحفاظ على رأسمال كافة قطاعات الدولة دون نقصان وعلى الرغم من انفجار الأزمة الآسيوية في نفس العام، إلا أن الصين كانت من ضمن الدول الأقل تضررا جراء الأزمة بفضل الفائض التجاري الذي كان لديها آنذاك، حيث بلغت قيمة الاحتياطي من العملات الأجنبية حوالي 140 مليار دولار، بالإضافة لاستمرار التدفقات الاستثمارية وانخفاض مقدار الديون قصيرة الأجل الأجنبية، حيث لم تتأثر الصين سوى بانخفاض قيمة عملات الدول المجاورة مما انعكس سلبًا على القدرة التنافسية لصادراتها إلى تلك الدول، وفي عام 2001 نجحت الصين في أن تصبح عضوا رسميا في منظمة التجارة العالمية وعلى الرغم من أن عضوية الصين في منظمة التجارة العالمية تضمنت الكثير من الضغوط والتضحيات من جانب الحكومة، إلا أن الاتفاقية المذكورة تشمل أيضا جوانب عدة إيجابية منها استقرار العلاقات الاقتصادية الخارجية، وتنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي بشكل أفضل، ورفع معدلات النمو الاقتصادي.

في عام 2005 وبنهاية الخطة الخماسية لتلك المرحلة تحسن الهيكل الاقتصادي الصيني بشكل كبير، حيث بلغت القيمة المضافة للصناعات غير الزراعية 85.1% وحوالي 14.9% للمنتجات الزراعية، كما حدثت طفرة كبيرة في البنية التحتية من حيث تطوير شبكة الطرق ومد خطوط الغاز الطبيعي للمناطق الريفية، ذلك بالإضافة لزيادة الصادرات التكنولوجية الصينية بشكل كبير والاهتمام بجودتها وليس فقط كميتها.

استمر النمو الاقتصادي الصيني بشكل سريع، وبحلول عام 2010 وصل الناتج المحلي الإجمالي إلى¹

26.1 تريليون وان بزيادة قدرها 7.5% مقارنة بعام 2005، وساعد هذا النمو الاقتصادي على وجود زيادة مستقرة في الإيرادات المالية الوطنية مما ضمن تدفق الأموال في العديد من المجالات منها التعليم والصحة والطب.

¹ - الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع:

[/https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history](https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history)

قامت الصين في عام 2008 باستضافة دورة الألعاب الأولمبية بما ساعد على تنشيط الاقتصاد على الرغم من الآثار السلبية للأزمة المالية العالمية آنذاك، كما قامت الصين في عام 2010 باستضافة معرض إكسبو العالمي في شنغهاي مما أدى إلى زيادة نفوذ وقوة تأثير الاقتصاد الصيني في العالم. كما ارتفع نصيب الفرد من الناتج المحلي إلى ما يقارب 8000 دولار أمريكي عام 2015 مما وبذلك أصبح الصين ضمن الشريحة العليا للدول ذات الدخل المتوسط عالميا.

شهد الاقتصاد الصيني تراجعاً ملحوظاً في الفترة ما بين عامي (2011-2015)، حيث بلغ معدل النمو في عام 2015 حوالي 6.9% محققاً تراجعاً عن عام 2014 والذي بلغ فيه معدل النمو 7.3% وبذلك تسجل الصين أبطأ نمو اقتصادي منذ 25 عاماً. يرجع التباطؤ في الاقتصاد الصيني إلى النمو الاستثنائي للاقتصاد خلال الثلاثة عقود الماضية، فمن الطبيعي جداً أن يتراجع النمو، ذلك بالإضافة إلى ارتفاع نسبة المسنين، واستقرار معدلات الاستثمار الذي أصبح يُشكّل حوالي 49% من إجمالي الناتج المحلي، كما لا يمكن تغافل انخفاض أسعار الأسهم الصينية وتراجع قيمة الأوراق المالية.

الفرع الثاني: بعض الأرقام عن الإقتصاد الصيني

-الصين تستورد المنتجات الزراعية من أميركا أكثر من كندا والمكسيك: تمثل الصين أكبر سوق لمنتجات الزراعة الأميركية، حيث إنها تشتري بقيمة 9.2 مليارات دولار من منتجات الفلاحين الأميركيين، ومن ضمنها هناك أكثر من نصف محاصيل الصويا، وهذا الموقع المتميز لبكين كزبون للأرياف الأميركية يمثل أحد أهم أسلحة الصينيين في ردهم على التعريفات الجمركية التي فرضها عليهم ترامب.¹

-أكبر تجارة بيع بالتجزئة: مجموعة "علي بابا (Alibaba) الصينية التي تمتلك أيضاً شركة "علي إكسبرس هي أكبر شركات البيع بالتجزئة في العالم، سواء عبر الإنترنت أو طرق البيع التقليدية، فهذا العملاق الصيني يبيع 3 أضعاف ما تبيعه أمازون في كل سنة.

¹- الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع:

[/https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history](https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history)

-ثاني أكثر بلد فيه مليارديرات في العالم: في العام 2018 كان في الصين 388 مليارديرا، أي أكثر من نصف العدد الموجود في الولايات المتحدة وهو 680، إلا أن هذا عدد هؤلاء الأثرياء في الصين شهد نموا سريعا أكثر من أي بلد آخر.

-الصينيون ينفقون حوالي 73 مليار دولار على السلع الفاخرة: ذكرت مؤسسة ماكينزي للاستشارات في تقريرها لعام 2016 أن 7.6 ملايين عائلة صينية لديها قدرة على شراء السلع الفاخرة، وفي 2018 اشترى الصينيون سلعا فاخرة بقيمة 73 مليار دولار، وهو ما يعادل ثلث المبيعات العالمية من هذا الصنف من المنتجات باهظة الثمن.

-صادرات الاقتصاد الصيني ارتفعت بنسبة 954% بين 1970 و2010: حاول النظام الشيوعي في الصين لعدة سنوات عزل الاقتصاد، وبالكاد كان يمارس التجارة مع باقي أنحاء العالم، وبحسب بيانات البنك الدولي، فإن الصادرات كانت تمثل 3% فقط من الناتج المحلي الإجمالي، لكن في 2010 ارتفع هذا الرقم إلى 26%، وكانت ذروة الصادرات الصينية قد تحققت في 2006 عندما وصلت نسبتها إلى 36% من الاقتصاد الوطني.

-متوسط دخل العائلات الصينية ارتفع بنسبة 400% في 10 سنوات فقط: يشهد الاقتصاد الصيني حالة من الانتعاش، وهو أمر لم يؤد فقط لتعاظم عدد المليارديرات، بل أيضا انعكس بالإيجاب على مستوى المعيشة لدى الطبقة العاملة، وخلال الفترة بين 2002 و2012 ارتفع متوسط دخل العائلة الصينية من 987 دولارا سنويا إلى 4273 دولارا، أي بنسبة 400%.¹

¹ -الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع:

[/https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history](https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history)

المطلب الثالث: نظرة حول الإقتصاد الجزائري

مر الإقتصاد الجزائري بعدة إصلاحات خاصة بعد الإستقلال حيث تبيننا النظام الإشتراكي إلى غاية 1990 حيث واجهنا أزمة المديونية واغيرنا المسار الإقتصادي نحو إقتصاد السوق، وفي هذا المطلب سنتطرق إلى أهم الإصلاحات ورؤية عامة حول الإقتصاد الجزائري.

الفرع الأول: تطور الإقتصاد الجزائري

أولاً: تطور الاقتصاد الجزائري بعد الاستقلال (1962-1966):

- غادر ما يقرب من مليون معمر الجزائر في بضعة شهور تاركين مزارعهم ونشاطاتهم ووظائفهم.
- أخذ المعمرون مدخراتهم و رؤوس أموالهم، ففي سنة 1962 قدرت قيمة الأموال المحولة للخارج ب 500 مليون فرنك فرنسي شهريا،
- انجر عن رحيل المعمرين الذين كانوا يضمنون تسيير الآلة الاقتصادية والإدارة العمومية وتوقف الاستثمارات المبرمجة في مشروع قسنطينة إلى تراجع الإنتاج الصناعي بشكل واضح باستثناء القطاع البترولي.
- وجود حوالي ما بين (11-12) مليون جزائري تتهددهم المجاعة، مليوني فلاح خرجوا من سجون الاستعمار، 70% من السكان العاملين في حالة بطالة.

* فترة الانتظار (62 - 65)

- هي الفترة التي لم تظهر فيها دولة بالمفهوم الاقتصادي، أي الدولة التي تتحمل أعباء التنمية، و لذلك تميزت السياسة الاقتصادية خلال هذه الفترة بالبطء وتراجع النمو وانعدام الرؤية الاقتصادية المستقبلية، و تميزت بما يلي¹:
- الاستمرار في تنفيذ المشاريع المبرمجة في إطار مشروع قسنطينة (1959-1964) التي اعتبرت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.

¹- أحمد هني، اقتصاد الجزائر المستقلة، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، سنة 1993، ص: 18

- الإبقاء على الوضع الموروث عن الاستعمار و تركيز الجهود لتأمين معيشة 12 مليون جزائري مهددون بالجوع.
- محاولة إيجاد حلول لعدة تناقضات كالبطالة و توفر الأراضي الزراعية، التناقض بين الصفة الاستعمارية للاقتصاد الجزائري وبين حاجيات المواطنين.
- ظهر نظامان في إدارة الوحدات الاقتصادية:
- التسيير الذاتي للمزارع والوحدات الصناعية الصغيرة الحجم التي تركها المعمرون تقدر بحوالي 330 مؤسسة بمجموع 3000 عامل في سنة 1964، وتخص الصناعات الغذائية، مواد البناء، المحاجر وصناعة الخشب . مراسيم 1963 حول التسيير الذاتي.
- إنشاء دواوين وطنية مثل الديوان الوطني للحبوب، الديوان الوطني للتجارة، و الديوان الوطني للإصلاح الزراعي ONRA الذي يضمن تموين كل الأملاك المسيرة ذاتيا بمدخلات الإنتاج و تسويق منتجاتها، الديوان الوطني للتوزيع ONACO الذي يمثل احتكار الدولة لعملية الاستيراد لقائمة واسعة من المنتجات و احتكار التصدير لبعض المنتجات الأساسية
- إنشاء شركات وطنية، سواء على أساس هياكل موجودة سابقا مثل شركة الكهرباء و الغاز و الشركة الوطنية لنقل و تسويق المحروقات
- تأميم الأملاك الاستعمارية التي لم يتركها أصحابها مثل تأميم الأراضي الزراعية و المناجم سنة 1963، ثم الشركات البترولية الأنجلوسكسونية والبنوك سنوات 1966/1967
- الرقابة على السياسة النقدية و المالية و ذلك بإنشاء البنك المركزي 1963، الدينار الجزائري 1964.¹

* السياسة الاقتصادية الجزائرية بعد سنة 1965

- تميزت السياسة الاقتصادية بعد سنة 1965 بخصائص نلخصها كالآتي:

¹- أحمد هني، مرجع سابق، ص: 18-19.

- الانتقال من مرحلة الانتظار إلى تجسيد اتجاه اقتصادي جديد و ذلك بتبني النظام الاشتراكي كخيار سياسي و احتكار الدولة لجميع الأنشطة الاقتصادية الإستراتيجية .

- البحث عن استقلال اقتصادي صناعي حقيقي مستقبلي بعد الحصول على الاستقلال السياسي، و لذلك جاءت السياسة الاقتصادية في شكل مخطط اقتصادي شامل و طويل المدى (إلى غاية 1980)

- ظهور الظروف الموضوعية لإتباع سياسة تنمية سريعة و ذاتية تعتمد على الصناعات الثقيلة لاسيما في مجال الحديد و الصلب و الطاقة و تشمين قطاع المحروقات

تبعا لذلك تم في المجال المالي تأميم جميع البنوك والأجهزة المالية في 1966 واحتكارها من قبل الدولة بهدف التحكم في آليات الإعتمادات المالية وتوجيهها للتنمية، ثم تجميعها بعد ذلك في سنة 1969 بعد تأسيس البنك الوطني الجزائري،

ثانياً: المخطط الرباعي الأول (70-73)

• الأهداف العامة لهذه الخطة هي:

- حددت هذه الخطة كهدف معدل نمو سنوي يقدر ب 9 % من الناتج الداخلي الخام.
- تعميم الاستقلال الاقتصادي عن طريق تدعيم وإنشاء الصناعة، تنويع التعامل مع الخارج
- خلق علاقات إنتاج جديدة وذلك بتدعيم دور القطاع العام في جميع المجالات واحتكار النشاطات الرئيسية بالإضافة على فرض رقابة جمركية على التجارة الخارجية وتوجيه الاستهلاك الداخلي بما يخدم التنمية.¹
- تحسين ورفع مستوى المعيشة للسكان عن طريق دعم أسعار المواد الواسعة الاستهلاك ومراقبتها ومحاربة الاستهلاك الطفيلي وتوجيه الاستهلاك العام والخاص

¹ - محمد بلقاسم حسن بهلول، سياسة تخطيط التنمية وإعادة تنظيم مسارها في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1999، ص: 160.

ثالثا: المخطط الرباعي الثاني (74-77)

- هو عبارة عن استمرار للمخطط السابق وتميز بالخصائص التالية:
- يبقى التصنيع في هذه الخطة أحد العوامل الرئيسية في عملية التنمية الاقتصادية.
- أهتم المخطط الرباعي الثاني بالجانب الاجتماعي أكثر من سابقه.
- زيادة مبلغ الاستثمارات بشكل كبير نتيجة ارتفاع أسعار النفط.¹

رابعا: الجيل الأول من الإصلاحات الاقتصادية الذاتية

- إعادة الهيكلة العضوية والمالية للمؤسسات:
- بمقتضى المرسوم رقم 80-242 حددت اللجنة المحاور الأساسية التي تدور حولها إعادة هيكلة المؤسسات العمومية و تتضمن إعادة الهيكلة ثلاث مراحل أساسية:
- إعادة الهيكلة العضوية وهدفها التنظيم العقلاني للمؤسسة الاقتصادية الوطنية.
- إعادة الهيكلة المالية وهدفها تزويد المؤسسات الجديدة بوسائل مالية تضمن لها التوازن المالي الذي طالما افتقرت إليه.
- توزيع تراث الشركات التي تمت إعادة هيكلتها ما بين المؤسسات الجديدة.
- منذ 1988 شرعت الجزائر في إصلاحات اقتصادية و مراجعة الإطار التشريعي و القانوني المتعلق بالقطاع العام و القطاع الخاص، وكانت رغبة الحكومة الجزائرية هو التحول التدريجي من نظام الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق الحرة، وترجم ذلك بصدور العديد من القوانين، الأوامر والمراسيم والقرارات التي تمس كل جوانب اشتغال الاقتصاد الوطني²:
- قانون الاستثمار 11/82 الذي قنن الاستثمار الأجنبي وسمح له بالاشتراك مع المؤسسات العمومية على أن لا تفوق حصته 50 %

¹ - محمد بلقاسم حسن بهلول، مرجع سابق، ص: 161.

² - بلعزوز بن علي، محاضرات في النظريات و السياسات النقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2008، ص: 186.

• قانون رقم 19/87 مؤرخ في 8 ديسمبر 1987 بخصوص السماح بالانتفاع الدائم بأراضي التسيير الذاتي و حل التعاونيات الفلاحة الاشتراكية

قانون رقم 29/88 مؤرخ في 19 جويلية 1988 بخصوص التجارة الخارجية و فتح المجال للشركات الوطنية لإنجاز المبادلات مع الخارج و وضع حدا لاحتكار الدولة للتجارة الخارجية

• قانون جويلية 89 يتعلق بنظام الأسعار، أعطى للمؤسسة الحرية في تحديد الأسعار حسب قوانين المنافسة

• المرسوم التشريعي المتعلق بخصوصية المؤسسات العمومية

• القانون (86-12) المؤرخ في 19 أوت 1986 و المتعلق بنظام البنوك والقرض،

• القانون (87-19) المؤرخ في 08 ديسمبر 1987 و المتعلق بإعادة هيكلة القطاع العمومي الفلاحي،

• القانون (88-01) المؤرخ في 12 جانفي 1988 و المتعلق باستقلالية المؤسسات العمومية

خامسا: الجيل الثاني من الإصلاحات الاقتصادية المدعومة من طرف المؤسسات المالية الدولية الاقتصادية

• اعتمد قانون المالية لسنة 1990 و منشور وزارة التجارة رقم (60-90) مؤرخ في 20 أوت 1990 و لائحة بنك الجزائر (90-04) الترخيص للمؤسسات الوطنية أو الأجنبية للقيام بعمليات الاستيراد و التصدير

• إصلاح النظام الضريبي مع تخفيض الضغط الجبائي، و مرا جعة التعريفات الجمركية، حيث وضع قانون المالية لسنة 1991 أسس الإصلاح الضريبي الذي طبق ابتداء من سنة 1992.¹

• الاتفاق الثاني للاستعداد الائتماني Stand by² (من 03 جوان 1991 إلى 31/03/1992).

يلتزم الصندوق بتقديم قرض قيمته 400 مليون دولار موزع على أربعة أقساط الالتزام بتنفيذ بنود الاتفاق الموقع بخصوص الإصلاحات الاقتصادية التي تتضمنها رسالة حسن النية وتتمحور حول:

¹ - بلعزوز بن علي، مرجع سابق، ص: 187.

- مواصلة تخفيض قيمة العملة من أجل الوصول إلى قابليتها للتحويل.
- مواصلة تحرير أسعار المواد الواسعة الاستهلاك وأسعار الصرف.
- ضرورة تحقيق فائض في الميزانية لتمويل التطهير المالي للمؤسسات العمومية وتخفيض نفقات التوظيف والتجهيز.
- التحكم في التضخم وتثبيت معدل نمو الكتلة النقدية إلى 12% سنة 1991.
- تحرير التجارة الخارجية.
- تنويع الصادرات من غير المحروقات.¹

الفرع الثاني: قراءة في سنة 2020

يواجه الاقتصاد الجزائري تداعيات انتشار فيروس كورونا المستجد مع انخفاض قيمة الدينار وارتفع التضخم وتوقف الشركات عن العمل، وكل هذا يأتي إلى جانب انخفاض عائدات النفط، وحذر خبراء الاقتصاد من أنه إذا لم يتم اتخاذ أي إجراء لمواجهة الوضع على نطاق واسع، فإن اللجوء إلى الاستدانة الخارجية سيصبح أمرا لا مفر منه.

وأعلن الديوان الوطني للإحصاء عن انخفاض بنسبة 3.9% في إجمالي الناتج الداخلي في الربع الأول من 2020 إلى اقتراب نسبة البطالة من 15% في شهر جويلية بعدما ثبتت عند 11.4% في²

نهاية 2019، وباستثناء قطاع الطاقة، انخفض إجمالي الناتج الداخلي بنسبة 1.5% في الأشهر الثلاثة الأولى من السنة مقابل زيادة قدرها 3.6% للفترة نفسها من 2019، ومع إجراءات الحجر منيت الشركات المملوكة للدولة بخسائر تبلغ نحو مليار يورو، من جراء الأزمة الصحية، ولم يتم تقييم خسائر القطاع الخاص بعد، لكن العديد من المتاجر المغلقة بما في ذلك المطاعم والمقاهي ووكالات السفر. وهي

¹ - بلعزوز بن علي، مرجع سابق، ص: 188.

² - مؤشرات

مغلقة

للإقتصاد

الجزائري،

على

موقع:

<https://www.swissinfo.ch/ara/afp/%D9%85%D8%A4%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%82%D9%84%D9%82%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D9%8A-%D8%A8%D8%B3%D8%A8%D8%A8-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7/45956884>

تواجه خطر الإفلاس بسبب إغلاقها منذ 19 مارس وبحسب توقعات صندوق النقد الدولي، سيشهد الاقتصاد الجزائري انكماشاً نسبته 5.2% هذا العام مع عجز في الميزانية هو الأعلى في المنطقة.

وتحتفظ الجزائر بذكريات مؤلمة من لجوئها عام 1994 إلى صندوق النقد الدولي وخطة الإصلاح الهيكلي أدى إلى تخفيضات هائلة في الوظائف وإغلاق شركات عامة وخصخصة جزء منها. لكن الحكومة الجزائرية أعدت خطة للانتعاش الاقتصادي، وقررت في بداية ماي خفض ميزانية تسيير الدولة إلى النصف. وفي قانون المالية التكميلي لسنة 2020 تم إقرار انخفاض إيرادات الميزانية إلى نحو 38 مليار يورو، مقابل 44 مليار يورو كانت متوقعة في الميزانية الأصلية. وتتأهب الخبير الاقتصادي عبد الرحمن مبتول أن "يتراجع احتياطي العملات الأجنبية إلى 37,21 مليار يورو مقابل تقديرات أولية بـ 43.44 مليار يورو. وبحسب الخبراء، فإن الحلول متوفرة لتفادي الانكماش، لكن أي حل سيتطلب إصلاحات جذرية. تخفيض معدلات فائدة، مع استقطاب الأموال المتداولة في القطاع غير الرسمي وخفض الضرائب اعتماداً على عدد فرص العمل الجديدة التي يتم خلقها. ودعا إلى إطلاق مشاريع كبرى مثل استخدام الصحراء لبناء مناطق صناعية زراعية مع بنية تحتية للتجهيز، إضافة إلى توسيع شبكة السكك الحديدية إلى الجنوب، وكل ذلك باستخدام القوى العاملة المحلية المؤهلة. واعترف مبتول بأن المحروقات ستبقى مصدر الإيرادات الرئيس للسنوات الخمس أو العشر المقبلة، مشيراً إلى أن خطة الخروج من الأزمة الاقتصادية يجب أن تستند إلى حوكمة جديدة ولا مركزية، تعتمد على خمس أقطاب اقتصادية جهوية. ودعا إلى "تكافل بين الدولة والمواطنين يضم المسؤولين المنتخبين والشركات والبنوك والجامعات والمجتمع المدني من أجل محاربة البيروقراطية" التي تشل البلد.¹

موقع:

على

الجزائري،

للاقتصاد

مقلقة

¹مؤشرات

<https://www.swissinfo.ch/ara/afp/%D9%85%D8%A4%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%82%D9%84%D9%82%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D9%8A-%D8%A8%D8%B3%D8%A8%D8%A8-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7/45956884>

الخاتمة:

إن دراسة تاريخ الوقائع الإقتصادية يعتبر جزءا لا يتجزأ من تطور التاريخ الإنساني عبر العصور من جانبه الاجتماعي و السياسي والثقافي، لذلك فإن ظهور أي فترة في التاريخ يتبعها تطور وتغير على جميع الأصعدة التي تشكل التاريخ الإنساني ، وتكون إما مؤثرا أو تابعا في التاريخ.

كانت الحياة الأولى للإنسان حياة وحشية بربرية قائمة على التنقل من مكان لآخر بحثا عن الطعام وعن الأمان من الحيوانات المتوحشة ومن الكوارث الطبيعية وكانت الحاجة للبقاء دافعا للتنقل من مكان لآخر، معتمدا على نشاط الصيد و التقاط الثمار، لكن مع مرور الزمن لاحظ الإنسان أنه بإمكانه أن يستقر في مكان واحد يصاحبه في ذلك نشاط الصيد والزراعة ، وتربية الحيوانات، وبذلك أصبح الإنسان يعيش ضمن مجموعات أكبر اتساعا ، وخلال هذه الفترة بدأ الإنسان في استغلال أخيه الإنسان ضمن أبشع صور الاستغلال الإنساني وضمن نظام قائم لآلاف السنين وهو نظام العبودية، الذي ظهر مع استقرار الإنسان في الأرض، وأصبح عنصرا مهما في إنشاء الحضارات الإنسانية ، فهو أهم عوامل الإنتاج فيها، وأهم عنصر في بناء الحضارات من جانبها العمراني، ولم يكن للعبيد أي حق من الحقوق الإنسانية.

إن سقوط آخر حضارة غربية وهي الحضارة الرومانية تلاها ظهور حضارة جديدة منطلقة من شبه الجزيرة العربية هي الحضارة الإسلامية عملت على النهي عن العبودية وتعزيز جميع طرق الكسب المشروع حسب الشريعة الإسلامية و تحريم الربا و الخداع في المعاملات، وقد تعززت كل من الصناعة والتجارة والفلاحة في الحضارة الإسلامية نتيجة لتنوع المناخ و كبر حجم المساحة الجغرافية للدولة ، و قد ظهر من جديد نظام العبيد مع ازدهار الدولة الأموية و انتشار ما يسمى الإقطاع و قد توسع بشكل كبير خاصة في حكم الدولة العباسية وبشكل اكبر في أواخرها وقد سبب ذلك في زيادة تشقق وسقوطها.

مع سقوط الإمبراطورية الرومانية أصبحت أوروبا معزولة تجاريا نتيجة لسيطرة المسلمين على جميع المنافذ التجارية لها و أيضا هجمات الفايكينغ، وقد أدى ذلك الى انتشار الإقطاع كنظام سياسي، اجتماعي ، و اقتصادي، وأهم ما مميز هذه الفترة هو تثبيت العبيد في الأرض بإنشاء ما يسمى بالقرن، وهو إعطاء جزء من الأرض للعبيد والسماح لهم بالزواج وإنجاب الأبناء و يبقى أبناؤهم عبيدا في الأرض، بالمقابل يقوم العبيد بالعمل في أراضي السادة مجانا، و خلال القرن العاشر ميلادي بدأ تأسيس المدن في أوروبا وقد رافق ذلك بروز نظام جديد وهو النظام الحرفي و رافق ذلك بروز النشاط التجاري ، وقد ساعد ذلك حالة الأمن التي

ظهرت في أوروبا بعد تشكل الدول القومية ، و بقي الوضع على ما هو عليه إلى غاية نهاية القرن الخامس عشر إلى أن ظهر نظام اقتصادي جديد في أوروبا.

ظهرت الرأسمالية في أوروبا مع نهاية القرن الخامس عشر وكانت في شكلها الأول رأسمالية تجارية وقد برز هذا النظام بدلا من النظام الحرفي بسبب أن النظام الحرفي كان يتعرض لضغوط و قيود من خلال النقابات الحرفية وفي نفس الوقت كان التجار يتمتعون بحرية أكبر من حيث المتاجرة والتنقل وتطورت الرأسمالية التجارية لتتخذ أشكال مختلفة في دول أوروبية مختلفة ، وتحولت إلى نظام إقتصادي يسمى النظام الرأسمالي.

عرفت أوروبا في القرن الثامن عشر ما يسمى بالثورة الصناعية في بريطانيا وكان ذلك نتيجة للسماح للأسر الإقطاعية الغنية باستثمار أموالها وكذلك التوجه نحو لاستثمار في البحوث العلمية وتطوير الآلات خاصة في قطاع النسيج ونشأ عنها تشجيع إنشاء المصانع ولتوسع في الإنتاج وعرض السلع مما أدى الى ظهور الأزمة العالمية سنة 1929 أو ما يسمى بالأزمة الكساد العظيم ، التي لم تتعافى إلا بعد تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي.

ظهر مع بداية القرن العشرين نظام اقتصادي جديد في أوروبا وهو النظام الاشتراكي، يقوم على التخطيط المركزي والملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، ولكن عجز هذا النظام على التقدم بسبب كبحه للحريات الفردية في الإنتاج ، لأنه يكبح روح المبادرة والبحث ومع سقوط حائط برلين سقطت الاشتراكية كنظام اقتصادي ليبقى النظام الرأسمالي نظاما اقتصاديا مسيطرا.

مع انتشار الثورة التكنولوجية ظهرت العولمة كمرحلة متقدمة من الرأسمالية أخذت فيها وسائل الاتصال أداة أساسية مصاحبة لها تطور كبير في النظام المصرفي، و جعل العالم متلاصقا فيما بينه ليشكل الاقتصاد العالمي أجزاء مترابطة فيما بينها حيث أن أي مشكل إقتصادي مؤثر يظهر في إقتصاد لدولة متقدمة تصيب الأزمة جميع بلدان العالم و هذا جعل العلماء يطلقون على النظام الرأسمالي بنظام الأزمات، حيث لاحظ الخبراء الاقتصاديين أن الأزمات المالية تضرب بهذا النظام بمتوسط أزمة كل عشر سنوات، وكمثال على ذلك أزمات 1989 _ 1986 و الأزمة المالية لسنة 2008 التي تسمى بأزمة الرهن العقاري، و تبقى الأحداث الاقتصادية متواصلة متأثرة بما يحدث من تغيرات سياسية، و مؤثرة في الكثير من الجوانب الاجتماعية و السياسية.

قائمة المراجع:

الكتب: -باللغة العربية:

- 1- خبابة عبد الله، بوقرة رابح، الوقائع الاقتصادية من التاريخ القديم إلى بداية القرن الواحد والعشرين، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009.
- 2- بن طاهر حسين، مدخل إلى الوقائع الاقتصادية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 3- خالد أبو القمصان، موجز تاريخ الأفكار الاقتصادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.
- 4- معين أمين السيد، دروس في مادتي مدخل للإقتصاد وتاريخ الوقائع الاقتصادية، دار المسيرة، الجزائر، 2008.
- 5- ماجدة شلبي، تاريخ الفكر الإقتصادي من أفلاطون إلى المعاصرين، دار النهضة العربية، مصر، 2015.
- 6- أحمد محمد مندور، مقدمة في الاقتصاد الجزئي، الدار الجامعية الإسكندرية، مصر، 2002.
- 7- كساب علي، النظرية الاقتصادية، التحليل الجزئي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- 8- عيسى خليف، مبادئ الاقتصاد الجزئي، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2013.
- 9- عطية محمد عطية، مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية ونظمها، يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.
- 10- عبد اللطيف بن محمد بن عبد العزيز الحميدان، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بأراء ابن خلدون، العبيكان للنشر، السعودية، 2017.
- 11- حروش رفيقة، الإقتصاد السياسي، دار الأمة، الجزائر، 2011.
- 12- هاشم عبود الموسوي، موسوعة الحضارات القديمة، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.
- 13- صونيا عابد، تعريف الإقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2010.
- 14- أحمد صادق سعد، تاريخ مصر الإجتماعي الاقتصادي، دار ابن خلدون، لبنان، 1979.
- 15- عبد الحليم نور الدين، تاريخ و حضارة مصر القديمة، الخليج العربي للطباعة و النشر، مصر، 1999.
- 16- كمال الدين سامح، لمحات في تاريخ العمارة المصرية منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث، دار نهضة الشروق، مصر، 2005.
- 17- رشدي سعيد، نهر النيل، نشأته واستخدام مياهه في الماضي و المستقبل، دار الهلال، مصر، 1998.
- 18- توفيق محمد عبد الجواد، العمارة وحضارة مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2000.
- 19- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط1، دار العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2000.
- 20- باهور لبيب، لمحات من الحضارات القديمة، مطبعة المقتطف، مصر، 2002.
- 21- سنيو بوس شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، دار العالمية، مصر، 2012.
- 22- مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.
- 23- موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005.
- 24- محمد إبراهيم أبو شادي، النظم الاقتصادية، دار النهضة العربية، مصر، 2010.
- 25- خبابة عبد الله، بوقرة رابح، الوقائع الاقتصادية: العولمة الاقتصادية- التنمية المستدامة، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009.
- 26- بن قانة اسماعيل، الوجيز في تاريخ الوقائع الاقتصادية، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2017.

- 27- أحمد فريد مصطفى، سهير محمد السيد حسن، تطور الفكر والوقائع الاقتصادية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2000.
- 28- مختار عبد الحكيم طلبية، مقدمة في المشكلة الاقتصادية، النشر كلية الحقوق جامعة القاهرة، مصر، 2007.
- 29- أشرف محمد دوابه، النظام الإقتصادي: مدخل ومنهاج، دار السلام، مصر، 2010.
- 30- هشام متولي، الرأسمالية والإشتراكية والتعايش السلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1990.
- 31- حازم الببلاوي، دور الدولة في الإقتصاد، دار الشروق، مصر، 1998.
- 32- زينب حسين عوض الله، مبادئ علم الإقتصاد، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1998.
- 33- مدحت القرشي، تطور الفكر الإقتصادي، دار وائل للنشر، الأردن، 2008.
- 34- خالد أبو القمصان، موجز الأفكار الاقتصادية عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.
- 35- صالح صالح، المنهج التنموي البديل في الإقتصاد الإسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2006.
- 36- محمد جعفر، أحمد فريد، الإقتصاد المالي الوضعي والإسلامي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1999.
- 37- محمد شوقي الفنجري، المذهب الإقتصادي في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010.
- 38- عباس رشدي العماري، إدارة الأزمات في عالم متغير، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر، 1993.
- 39- إبراهيم عبد العزيز النجار، الأزمة المالية وإصلاح النظام المالي العالمي، الدار الجامعية، مصر، 2009.
- 40- محمد الصيرفي، إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية والتوزيع، مصر، 2007، ص: 414.
- 41- محمد لخضر بن حسين، الأزمات الاقتصادية- فعلاها ووظائفها في البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان النامية- ترجمة أحمين شفير، المعهد الوطني للثقافة العمالية وبحوث العمل، الجزائر، 1995.
- 42- جودة عبد الخالق، الأزمة المالية العالمية، أزمة نظام لا أزمة سياسات، السياسة الدولية، مطابع الأهرام التجارية، مصر، العدد 175، جانفي 2009.
- 43- قدي عبد المجيد، المدخل إلى السياسات الاقتصادية الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
- 44- عمرو محي الدين، أزمة النمر الآسيوية-الجزور والآليات والدروس المستفادة-، دار الشروق، مصر، 2000.
- 45- عبد الحكيم مصطفى الشرقاوي، العولمة المالية وإمكانات التحكم في عدوى الأزمات المالية، دار الفكر الجامعي، مصر، 2003.
- 46- صلاح الدين حسن السيسي، الأسواق المالية، الأزمات المالية العالمية (الأسباب-التداعيات- سبل المواجهة) في ظل منظمة التجارة العالمية وتحرير الخدمات المالية، دار الفكر العربي، مصر، 2008، ص 270.
- 47- سارة عماد الدين غيث، الأزمة المالية العالمية المعاصرة من منظور إسلامي وتأثيرها على الإقتصاديات العربية، دار النهضة العربية، 2012.
- 48- لوريتا نابوليوني، الإقتصاد العالمي الخفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، سنة 2010.
- 49- محسن الخضير، اليورو الإطار الشامل والكامل للعملة الأوروبية الموحدة، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، سنة 2002، ص: 12.
- 50- محمد المقداد وصابر السرحان، الاتحاد الأوروبي والعوامل المؤثرة على وزنه الدولي، جامعة ال البيت، الأردن، سنة 2013، ص: 16.
- 51- صلاح الدين حسن السيسي، الاتحاد الأوروبي والعملة الأوروبية الموحدة اليورو، عالم الكتاب، ط1، مصر، سنة 2003.

52- جون بيندر، سايمون اشروود، الإتحاد الأوروبي مقدمة قصيرة جدا، ترجمة خالد غريب على، مؤسسة هنداوي، مصر، سنة 2015.

53- أحمد سيد نوفل، الإتحاد الأوروبي في مطلع الألفية-الواقع وتحديات، قسم علوم السياسية، جامعة اليرموك، الأردن، بدون سنة.

54- محسن الخضير، اليورو: الإطار الشامل والكامل للعملة الأوروبية الموحدة، مجموعة النيل العربية، مصر، سنة 2002.

55- غريغوري كلارك ترجمة أمين الأيوبي، الإقتصاد العالمي: نشأته، تطوره ومستقبله، الدار العربية للعلوم ناشرون، سنة 2009.

56- أحمد هني، اقتصاد الجزائر المستقلة، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، سنة 1993.

57- محمد بلقاسم حسن بهلول، سياسة تخطيط التنمية وإعادة تنظيم مسارها في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1999.

58- بلعزوز بن علي، محاضرات في النظريات و السياسات النقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2008.

-باللغة الأجنبية:

1- Cenereux j, les politiques économiques, seuil memo, 1996.

2- Frederic Teulon, Croissance, crises et développement, Presse universitaire de France, Paris, 6 Edition, 2001.

مذكرات ورسائل علمية:

1- نيفين الكردي، الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، 2011.

مقالات ومداخلات:

1- إبراهيم عبد الله عبد الرؤوف محمد، انعكاسات الأزمة المالية العالمية على الاقتصاد المصري نظرة عامة، المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر حول الجوانب القانونية والاقتصادية للأزمة المالية العالمية، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، 1-2 أبريل 2009.

2- زيدان محمد، حبار عبد الرزاق، دور البنوك المركزية في معالجة الأزمة المالية الراهنة مع إشارة خاصة لدول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مؤتمر الأزمة المالية العالمية الراهنة وانعكاساتها على اقتصاديات دول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الجزائر، ديسمبر 2009.

3- فريد كورتيل، الأزمة المالية العالمية وأثرها على الإقتصاديات العربية، مؤتمر حول الأزمة المالية العالمية وكيفية علاجها من منظور الإقتصاد الغربي والإسلامي، جامعة الجنان، لبنان، 13-14 مارس 2009.

4- ثريا الخزرجي، الأزمة المالية العالمية الراهنة وأثرها في الإقتصاديات العربية التحديات وسبل المواجهة، المؤتمر العلمي الثالث للأزمة المالية العالمية وانعكاساتها على اقتصاديات الدول، التحديات والآفاق المستقبلية، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الإسراء الخاصة وبالإشتراك مع كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، 28-29/04/2009.

مطبوعات:

1- لونيبي لطيفة، مطبوعة محاضرات في تاريخ الوقائع الاقتصادية،، جامعة بباجي مختار عنابة، دون سنة نشر.

2- صديقي شفيقة، مطبوعة محاضرات في تاريخ الوقائع الاقتصادية، جامعة الجزائر 3، 2016-2017.

مواقع انترنت:

1- تعريف ومعنى الحضارة في معجم المعاني الجامع، معجم عربي www.olmoony.com اطلع عليه بتاريخ 29-11-2017 بتصرف.

2 <https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%82%8A%D9%88%D9%AF%D9%8A%D9%85%D8%A9>
(اطلع عليه بتاريخ 2018/11/30).

3- <https://www.ts3a.com/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%A9/>
(اطلع عليه بتاريخ 2018/12/30)

4- ناجي التوني، الأزمات المالية، جسر التنمية، العدد 29، ماي 2004، ص: 08، تاريخ الاطلاع: 2009-08-10
http://www.arab-api.org/devbrdg/delivery/develop_bridge29.pdf
5- بلقاسم العباس، أسباب الأزمة المالية والنماذج المفسرة لها، المعهد العربي للتخطيط، ص: 16-17، تاريخ الاطلاع: 2009-08-10،

<http://www.arab-api.org/course32/pdf/p5629-2.pdf>

6- نظرة على الاقتصاد الأمريكي، موقع: https://www.bea.gov/newsreleases/national/gdp/2014/gdp2q14_adv.htm تاريخ الإطلاع: 2020/08/03 على الساعة 10:00

7- مروان سمور، كيف نهضت اليابان من ركاب الحرب لتصبح ثالث أقوى اقتصاد في العالم، منشور على موقع: <http://mubasher.aljazeera.net/blog-post/%C2%A0%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%B1%D9%83%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%A8%D8%AD-%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB-%>

8- الاقتصاد الصيني: كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، على موقع: <https://www.abeqtisad.com/reports/china-economic-history>

9- الاقتصاد الروسي، على موقع: https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF_%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7